حوار مع

هدى عبد الناصر

محمود مراد

حوار ٣



الكتاب الثالث من سلسلة [illegible]

الطبعة الأولى [illegible] القاهرة ـ نوفمبر ١٩٧٥

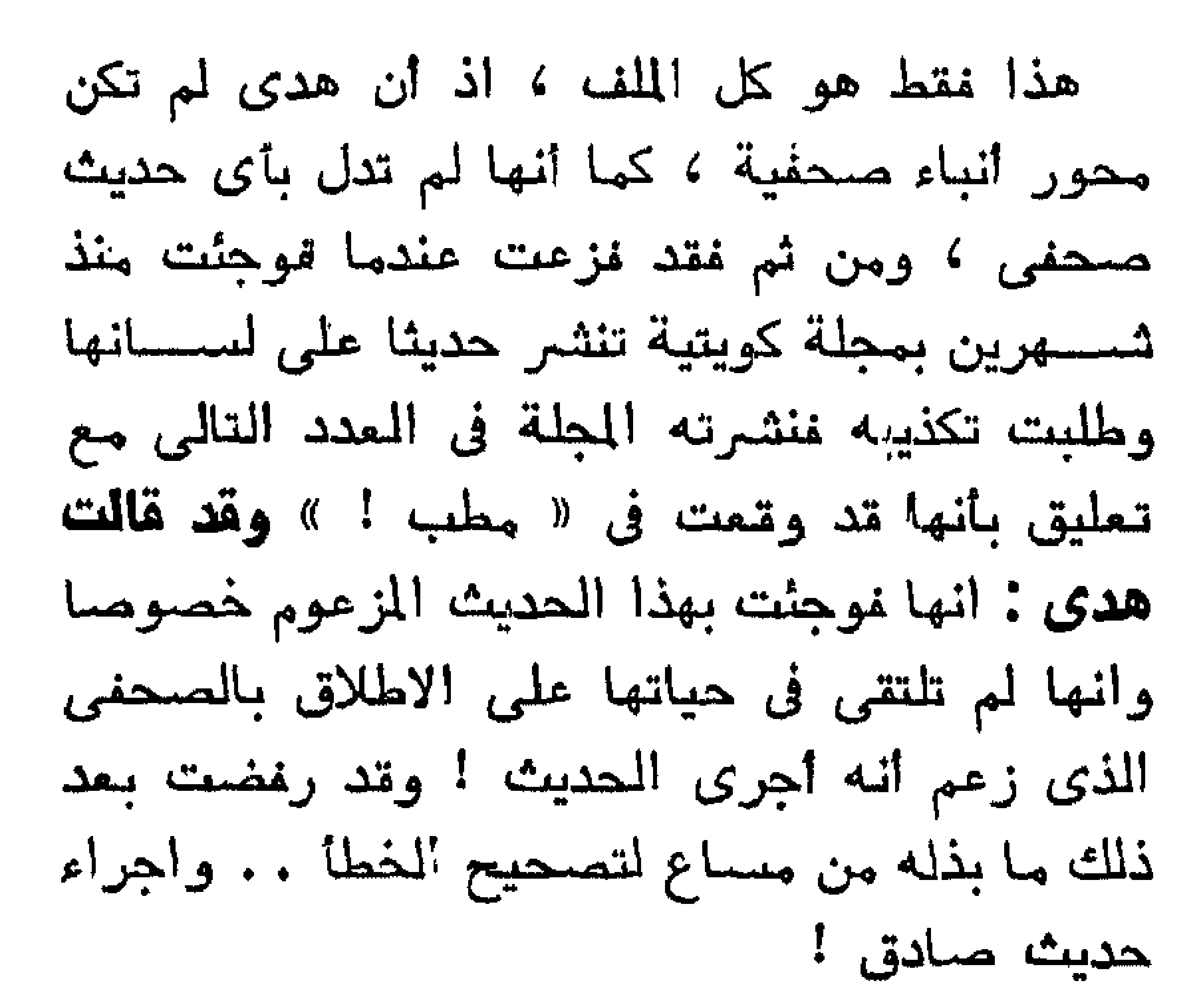
قصة الحوار



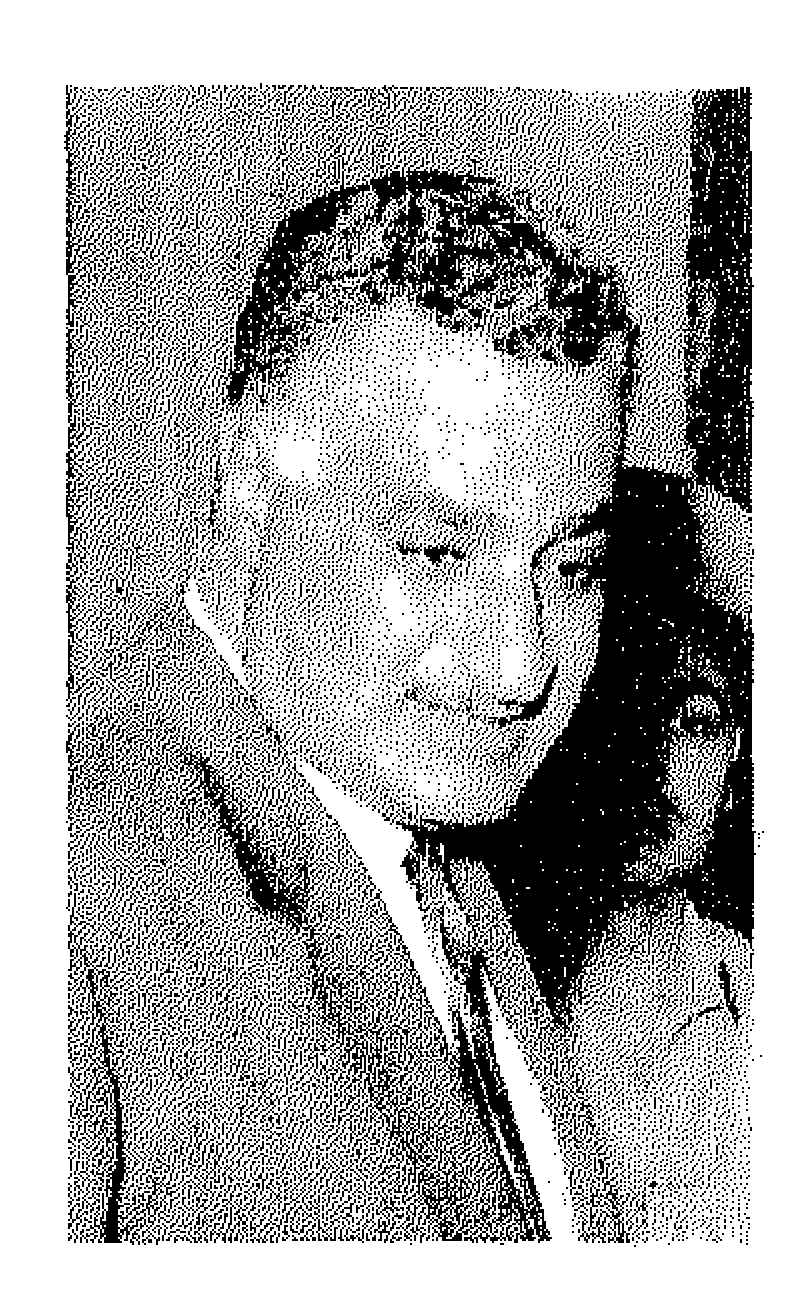
هــدى
عبد الناصر
خلال الحوار مع
محمـود مـراد
فى أول مـرة ، تـروى فيها ابنــه
القـائد الخالد ذكريـــاتها ومذكراتهـا

قصة الحوار

ملف هدى جمال عبد الناصر فى أى أرشيف دار صحفية كبرى ، لا يضم سوى وريقات معدودة من قصاصات صحف قديمة تحمل أولها تاريخ ٢٢ يوليو ١٩٦٢ ، وتقول ان الأبنة الكبرى للرئيس جمال عبد الناصر قد نجحت فى امتحان الثانوية العامة ـ القسم الأدبى بمجموع ٢٣٢٫٥ درجة ـ وانها كانت فى المدرسة القومية الثانوية بالعجوزة .. وبعد ذلك يجىء خبر التحاقها بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ثم دعوتها سنة ١٩٦٣ لزيارة الاتحاد السوفيتى .. وفى ٣ يوليو ١٩٦٤ تنشر الصحف نبأ عقد قرانها فى اليوم السابق على زميلها السابق فى الكلية اذ كان قد تخرج فى ذات العام : حاتم صادق الذى كان والده وكيلا لوزارة الزراعة ، وبعد عام ـ فى ٤ أغسطس ١٩٦٥ ـ يتم الزفاف فى حفل عائلى محدود ، ثم فى العام التالى تتخرج هدى وتنشر الصحف النبأ .. أما آخر قصاصة فهى عن حضورها مع زوجها احتفالات ذكرى رحيل القائد الخالد جمال عبد الناصر ..



هذا فقط هو كل الملف ، اذ أن هدى لم تكن محور أنباء صحفية ، كما أنها لم تدل بأى حديث صحفى ، ومن ثم فقد فزعت عندما فوجئت منذ شهرين بمجلة كويتية تنشر حديثا على لسانها وطلبت تكذيبه فنشرته المجلة فى العدد التالى مع تعليق بأنها قد وقعت فى « مطب ! » **وقد قالت هدى :** انها فوجئت بهذا الحديث المزعوم خصوصا وانها لم تلتق فى حياتها على الاطلاق بالصحفى الذى زعم أنه أجرى الحديث ! وقد رفضت بعد ذلك ما بذله من مساع لتصحيح الخطأ .. واجراء حديث صادق !



جمال عبد الناصر

المهم ان الأبنة البكرية للقائد الذى غير جذريا فى بلده وأمته العربية وترك بصماته على السياسة العالمية كلها ، كانت بعيدة عن دائرة الضوء هى وأسرتها كلها ، ذلك ان جمال عبد الناصر كان دائما يكرر للسيدة الجليلة قرينته ولأبنائه : **((تذكروا أن ما نحن فيه ليس الا وجودا طارئا .. أن كل ما نستخدمه عهدة للدولة ! ويجب أن تتعودوا على الحياة كمواطنين عاديين .. يعطيكم وطنكم بقدر ما تنتجون ، وتسعدون فيه بقدر ما تحسون انكم بذلتم وفعلتم)) .**

وبعد رحيله المؤلم ، استمرت أسرته على نفس المنهاج برغم عشرات الصحفيين العالميين : الأجانب والعرب والمصريين ، الذين حاولوا ، باستماتة ، الاقتراب منها ..

وأخيرا .. وافقت **هدى عبد الناصر** ان تفتح عقلها وقلبها للكاتب الصحفى المصرى محمود مراد المحرر بجريدة **((الأهرام)) .. تروى له ذكرياتها عن أبيها — الرجل العظيم — وحياته الأسرية وسلوكه مع أسرته ، بكل ما فيها من خبايا شخصية وخاصة .. ، وعن ردود فعل الأحداث والمعارك السياسية** .. وعلاقات عبد الناصر بمساعديه ومعاونيه وأجهزة الدولة . بكل ما فى ذلك من أسرار .

وهكذا تعددت جلسات الحوار الممتد بين هدى عبد الناصر وبين محمود مراد ، التى حضرها قرينها حاتم صادق الذى يعمل الآن بالجامعة العربية والذى كان رئيسا لمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية فى ((الأهرام)) وقبلها كان يعمل فى سكرتارية رئيس الجمهورية للمعلومات .. وكان قريبا من القائد الخالد .



حاتم

ايضا فان **محمود مراد** استكمالا لموضوع **الكتاب** .. أدار الحوار — حول بعض ما أثير مع هدى — مع مجموعة من المتصلين بأسرة جمال عبد الناصر .. ومع عدد من الذين تولوا المسئولية واقتربوا منه .. **وابرزهم محمد حسنين هيكل ، وحسن ابراهيم** نائب رئيس الجمهورية الأسبق والذى انضم الى الخلية الأولى للضباط الأحرار برئاسة عبد الناصر سنة ١٩٤٦ ، **وحسن التهامى** أمين عام المؤتمر الاسلامى حاليا ، وأحد الأعضاء الأوائل فى تنظيم الضباط الأحرار .

كما استشهد محمود مراد — فى مواضع من الحوار — بتصريحات عبد الناصر لعدد من الصحفيين العالميين ، وبكلماته فى عدد من المؤتمرات والاجتماعات المعلنة والسرية ..

ويقول محمود مراد ، ان هناك ملاحظة اساسية وجوهرية بالنسبة لجلسات الحوار التى عقدها مع هدى واستمرت أكثر من ٣٠ ساعة . وهى أنه لم تكن هناك أسئلة معدة من قبل ، ولا اجابات جاهزة ، وانما كانت المناقشة حرة .. وكانت **هدى** مستعدة تماما .. أكثر من **واضحة** ، وأكثر من **صريحة** ، **مدققة** الى أبعد حد فى الوقائع .. لا تريد ذكر أى واقعة على لسانها .. مهما كانت تتضمن مدحا لوالدها ، طالما انها لم تذكرها ولم تعش تفاصيلها أو تسمعها من الراحل الكبير .

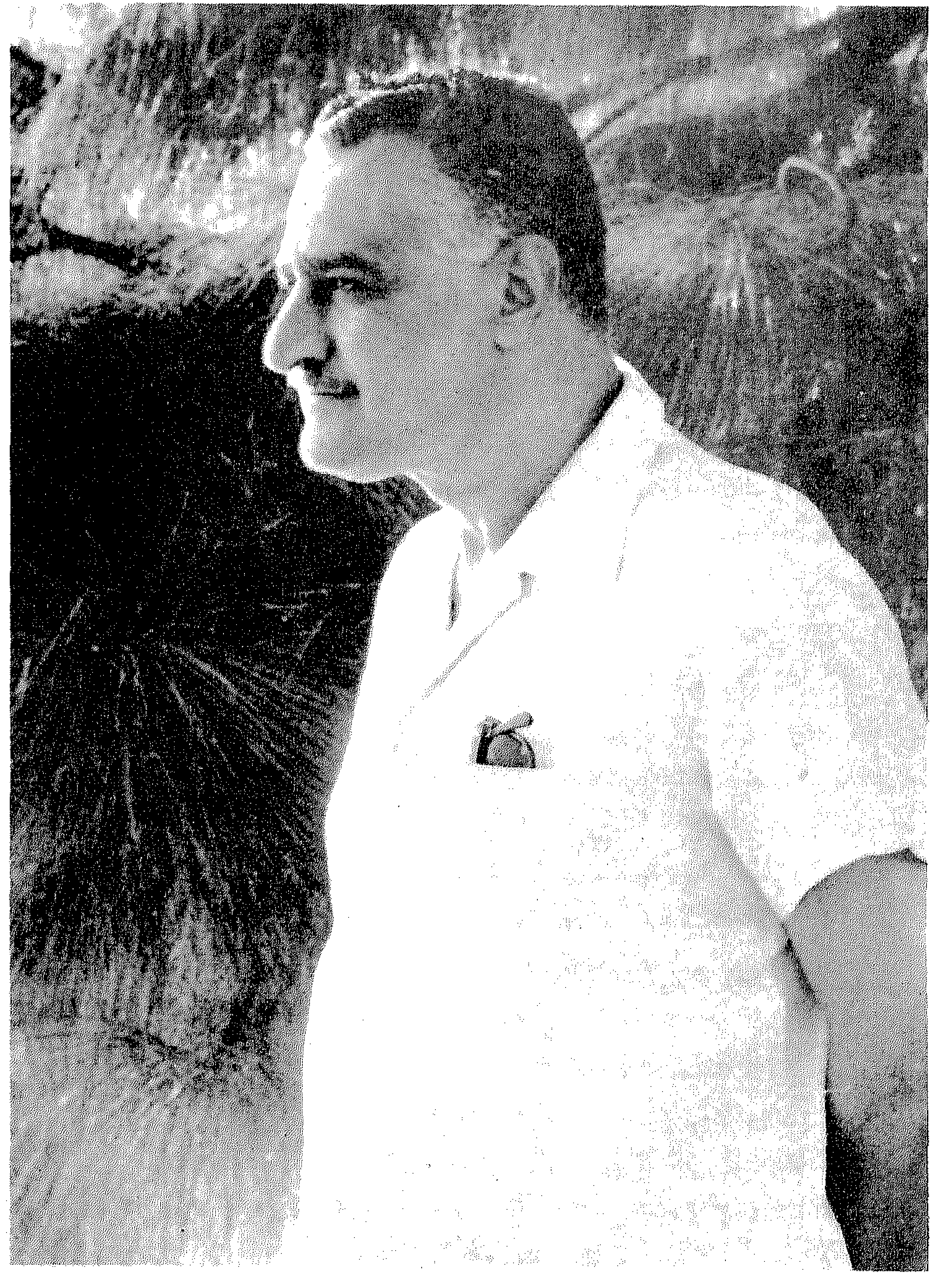
كانت هدى دائما تؤكد أن الحقيقة وحدها هى الجديرة بالتسجيل .. وهى أسطع من كل محاولة لحجبها .. وأكبر من أن نضيف لها حرفا !

« حوار »



هدى

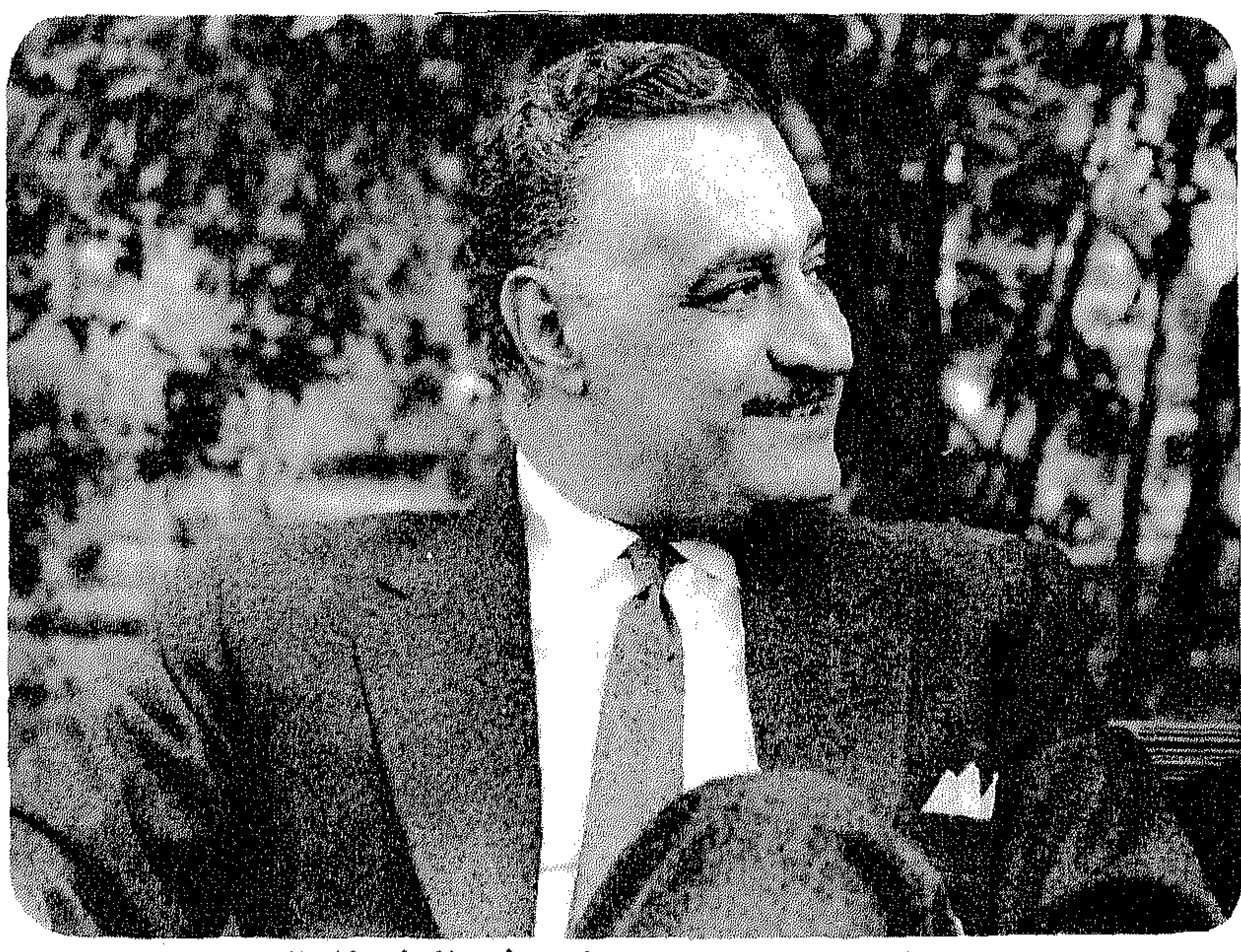
ذكريات .. بالصور!



● فى القناطر الخيرية .. كان يحب دائمًا ان يخلو بنفسه ..
يتجول وحده بين احضان الطبيعة ، واحضان النهر ●

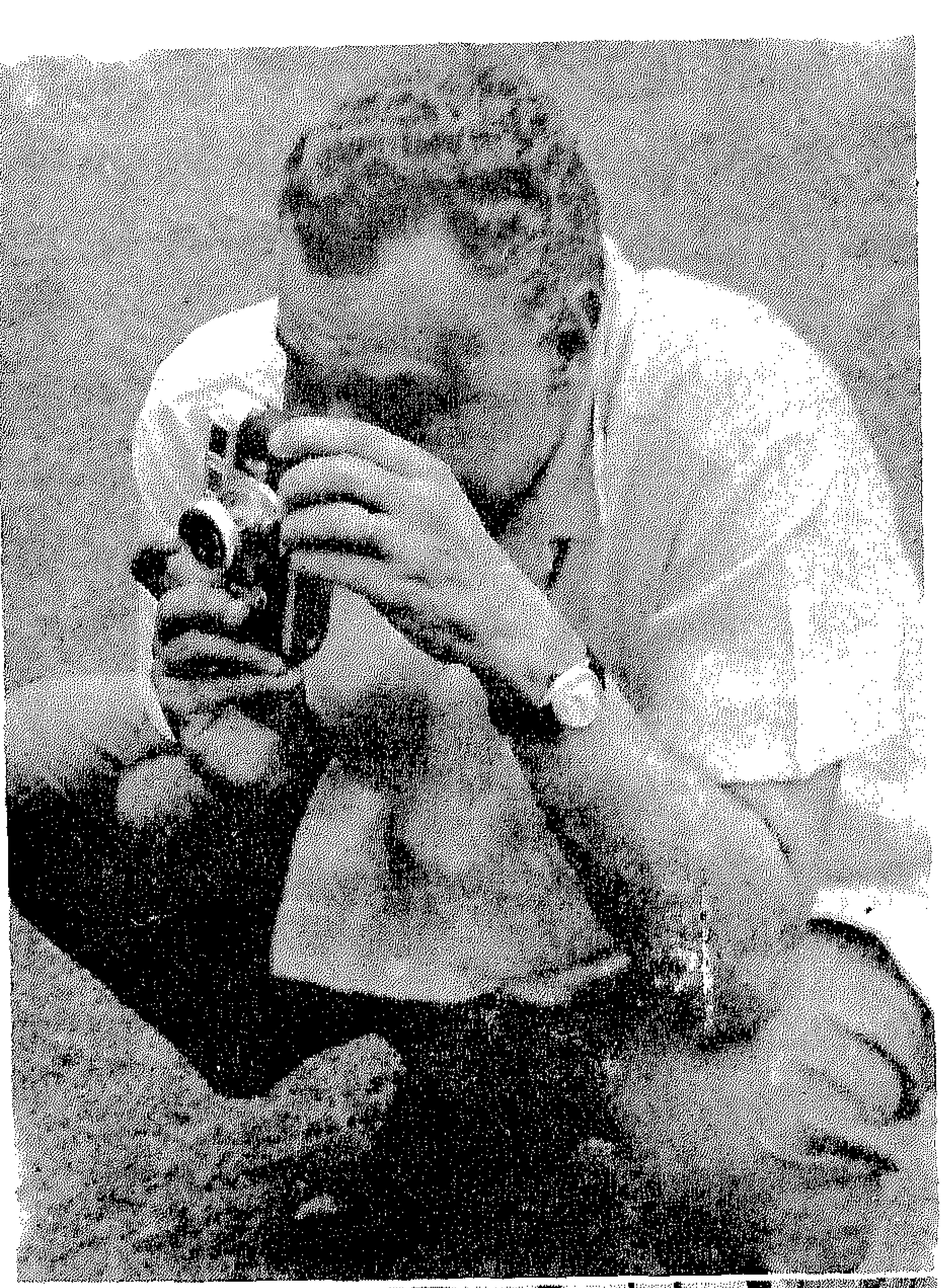


● فى مكتبه بمنزله بمشية البكرى ، صورة نادرة اثنـــاء العمل ، كان دائمـــا يقرا فى الدستور ، يرجع اليه ، ينفذ ما فيه لصالح الجماهير برغم الظروف ! ●



● جلسة استرخاء وتفكير .. بعد يوم عمل مضنى بذل فيه كل الجهد والطاقة ●

● التقطت هذه الصور فى النصـــف الأول من شهر مايـــو ١٩٦٧ قبل الأحـــداث الخطـــيرة .. كان يمارس هوايتـــه .. يصـــور بنفســـه حفيدته الصغيرة ((هالة)) ابنة هدى وحـــاتم صادق ●



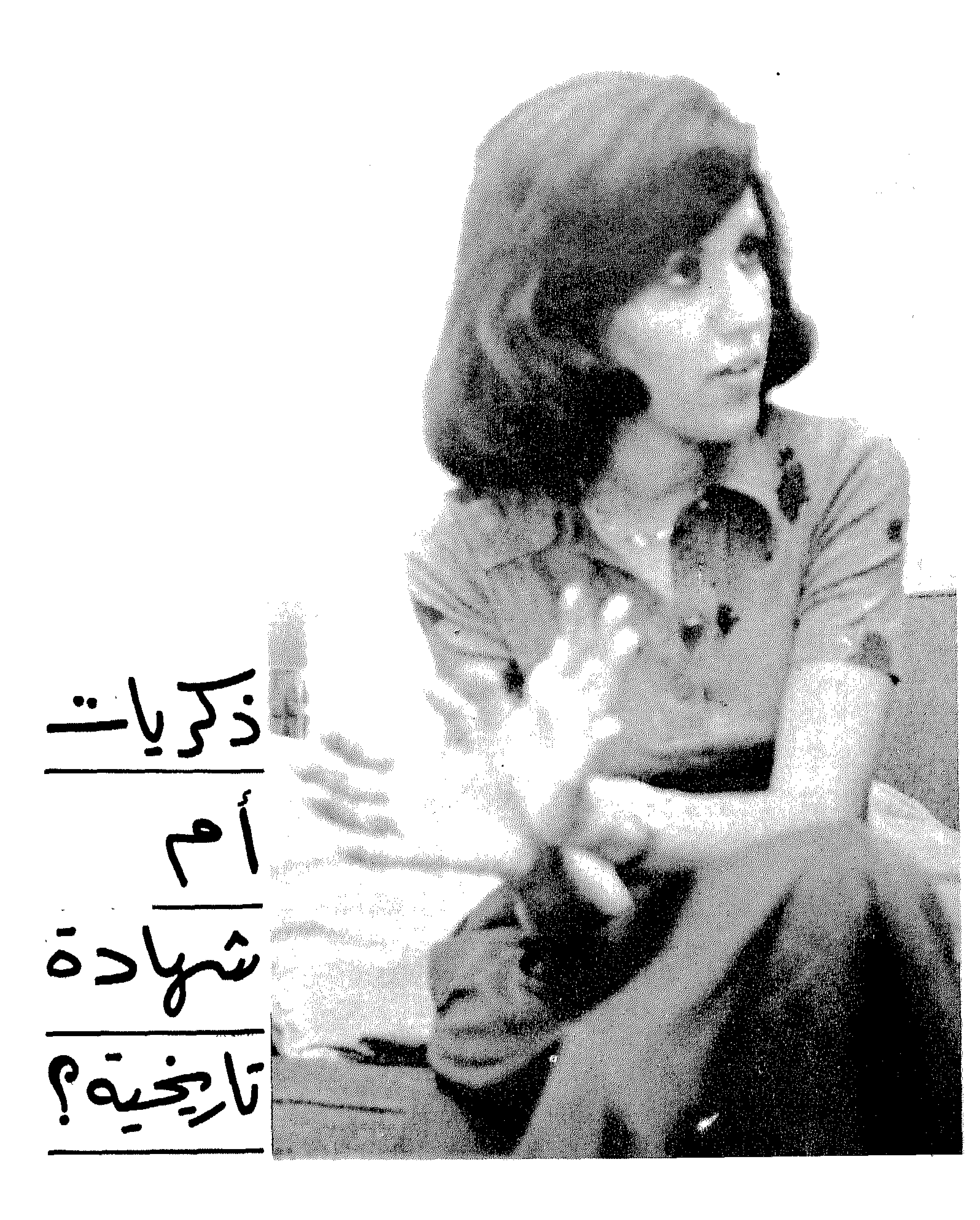


● السيدة الجليلة تحيــة قرينة القــائد الخالد ، وهى تحمل حفيدها ((جمــال)) ابن ((منى)) وأشرف مروان فى عيد ميلاده ●



● فى مكانه المعتاد الذى كان يجلس فيه بحديقــة المنزل قبــل حرب ١٩٦٧ .. هو هنا مع السيدة قرينته تحمل حفيــدها .. بينما هــو وسيجارة يشعلها له حاتم ●




ذكريات
أم
شهادة
تاريخية؟

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكريات .. أم شهادة تاريخية؟

محمــــود مراد

منذ بداية ١٩٧٤ ، او على وجه التحديد منذ فبراير من ذلك العام ، بدأت حملة مسعورة ، محمومة وضارية ، ضد الثورة المصرية وضد جمال عبد الناصر بالذات !

ولقد ساهمت فى هذه الحملة أقلام مصرية عديدة ..

بعضها كان فى احلك سنوات النضال الوطنى القومى : يلهو فى ملاهى لندن وبيروت ، بين موائد اللعب وأحضان الغوانى !

وبعضها كان فى السجون : مدانا فى قضايا الخيانة !

وثالثها كان فى جنيف وعواصم أوربا : يتلقى أموال المخابرات الامبريالية والرجعية العربية ، ليهاجم مصر الثورة مدعيا أنه الناطق بلســـان مصر الحـــرة !

والبعض الرابع من فلول الأحزاب القديمة : يطمع — فى مناخ الحرية — أن يستعيد نفوذه وامجاده !

والخامس من محترفى الأكل على كل مائدة وتهليب أكبر قدر من المنافع الشخصية .. وهكذا .. !

أيضا شاركت فى هذه الحملة أقلام غير مصرية ، من البلاد العربية : يريد بعضها أن يتقرب من الرئيس السادات ، على وهم انه منفصل عن ثورة يوليو وجمال عبد الناصر .. ويريد آخرون أن يبعثوا « حزبهم » الذى سبق أن كشفه عبد الناصر — فى الستينات — **أمام الأمة العربيـــة وأظهر انه واجهة بلا مضمون حى** . ! ويريد البعض الثالث ان يكسر عنق الاشتراكية فى مصر لتتحول الى الاتجاه الراسمالى ، ليستثمر هذا البعض

أمواله لتصبح القاهرة سوق تجارة أو دعارة .. يرتع فيها من يشاء كيفما يشاء !

تجمع هؤلاء ، وأولئك اذن ، على مهاجمة عبد الناصر والثورة مستغلين ـ كما قلت ـ **مناخ الحرية الذى أعطاه السادات** .. ومستغلين اتجاهه الى تقييم التجربة الوطنية المصرية بكل أبعادها محليا وعربيا ودوليا !

ولقد داخلنى ، وأعترف صراحة ، بعض الألم ـ كمواطن ـ لأن القاهرة الدولة لم تتدخل لتكبح هذه الخيول المجنونة ! ولم تضع حدا لاستهتارها ومجونها .. ولأنها تركتها تنهش فى لحم مصر ولحم القائد الخالد جمال عبد الناصر !

على أنى ـ بعد زوال التأثير الفورى للصدمة العاطفية ـ وباستقراء الأحداث .. أكبرت فى القاهرة الدولة .. والسادات بالذات ، أنه ترك هذا الحوار صريحا فى حرية كاملة !

ذلك ان الثورة ـ أو الناصرية ـ ليست كهنوتا .. وعبد الناصر نفسه ليس أسطورة أو ذات قدسية لا تمس !

ما الثورة .. الا تجربة وطنية أمينة ..

وما هو .. الا بشر !

وصحيح أنه وسط المناقشة سوف تبرز ـ ولقد برزت بالفعل ـ آراء سطحية تهجم وتطعن وتصل ـ فى عبثها ـ الى حد المطالبة بهدم واحد من أروع انجازات الثورة وهو « **السد العالى** » الذى حمى مصر من الموت جوعا وعطشا سنة ٧٢ ، والذى حماها من الفيضان المهلك لنهر النيل سنة ١٩٧٥ !

وصحيح أنه سوف تبرز ـ ولقد برزت بالفعل ـ آراء تركب موجة الناصرية وترتدى قميص عبد الناصر لتستر نواياها ومراميها !

لكن ذلك كله لا يهم . !

ان الحياة شهيق وزفير ، وبالاثنين يدور التاريخ .. وهو حركة يحكمها العقل .. تستمر دائما الى أمام ، تطرد النفايات ولا تبالى بالغث !

وعلى هذا ، وبموضوعية الحوار الذى تؤمن به الثورة حتى لا يصيبها الجمود والقعود ، سوف تبرز — ولقد برزت بالفعل — آراء بناءة تناقش التجربة وفكر الرجل بأمانة البحث العلمى ودقة الوثائق .. مرتكزة على الحقائق الثابتة .

ومن هنا ، فنحن نؤمن بما قاله السادات فى الذكرى الرابعة لرحيل عبد النـــاصر :

« لقد كان عبد الناصر طوال حياته كقائد وزعيم ، وظل بعـــد مماته ، محل جدل ونقاش شأن كل عظماء التاريخ .. شأن الذين كان عليهم أن يتصدوا لمهمات تاريخية ولقرارات مصـــيرية ، لابد أن يكون لها ضحاياها ، ولابد أن يكون لها ثمنها الذى لا مفر منه .. والقائد عادة ملك للتاريخ ، وملك للناس ، وملك للمؤرخين .. والجدل والنقاش حول دور عبد الناصر فى حيـــاة الأمة ، من حق هؤلاء جميعا .. ولكننا لا نؤمن بالجدل القائم على الحقد ولا النقاش بروح من الضغينـــة .. »

نؤمن نحن بذلك ، غير ان مخطط الهجوم على عبد الناصر والثورة صار دبا متوحشا ، غير مبال بقيم ولا أخلاق ، غير مراع **بتحذيرات السادات** من الذين يحـــاولون الوقيعة بينه ، وبين عبد النـــاصر ، (ابريل ١٩٧٥) ولا **بحرصه** على ان يكون أمينا على الثورة وعبد الناصر (يوليو ١٩٧٥) ولا بما جاء فى **ذكرياته** عن نزاهة عبد الناصر وقدرته على التصرف والحـــكم ودوره التاريخى (الأهرام ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ سبتمبر ١٩٧٥) ، ولا **بحديثـــه** (٢٨ سبتمبر ١٩٧٥) **عن أن ثورة التصحيح فى ١٥ مايو ١٩٧١ ليست منفصلة عن ثورة يوليو ١٩٥٢ لكنها فصل فى كتابها ..**

بل ان هذا المخطط وجد صدى خارج الأمة العربية ، وكشف كثيرون عن سابق عملياتهم المدبرة لقتل عبد الناصر بالسم (**مايلز كوبلاند** واعترافاته

عن المخابرات الأمريكية) .. كما نشطت مصادر غربية وأمريكية ، صحفية وغير صحفية ، فى ترويج اشاعات عن عبد الناصر واسرته ! لتلويث السمعة الشخصية بعد الفشل فى تحطيم الانجازات التاريخية (السـد العالى — الاشتراكية — القطاع العام — صيغة قوى التحالف .. وغيرها) **بل أن صحفيا مصريا كتب فى جريدته** ، واصدر كتابا ، يلوح بما يقرب من الصراحة بأن **عبد الناصر له أموال مهربة فى الخارج !** ونسى هذا الكاتب او تناسى أن شرف عبد الناصر — بكل الشهادات — أنصع من أنقى نقطـة فى شرف المتشدقين بالطهر ! ونسى أو تناسى **أنه هو — أى الصحفى — كان عميلا من عملاء المخابرات المصرية التى يهاجمها هو ورؤساؤه الآن ويتهمونها بأنها كانت مركز قوة تقتل وتعذب وتسجن .. وتسبى !**

ونحن هنا لا ندافع عن المخابرات بشكل عام .. نحن ندين أى انتهاك لحقوق الانسان .. ندين أى انحراف عن المشروعية والقانونية ، لكنا لا نلقى بالاتهامات عشوائيا .. **كما اننا نرفض ان يتحدث عميل عن رؤسائه وكأنه النبى !**

ذلك أنه اذا كان رؤساؤه ارهابيين .. فماذا يكون هو الذى عمل معهم وشارك فى تنفيذ مخططاتهم ؟

على أى حال ، اننا بحمد الله ، لسنا من الذين عملوا او يعملون مع أية أجهزة لا سابقا ولا حاليا ولا حتى لاحقا مهما كان الاغراء ! لكنا نعمل فى النور .. حفاظا ودفاعا عن الخط الثورى الذى فجرته ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، والذى قاده **جمال عبد الناصر** ، ويقوده الآن **أنور السادات ..**

ولعلنى هنا أتجرأ بطلب محدد هو أنه كما كان الهجوم حاميا فى بداية الثورة ضد عهد ما قبل ١٩٥٢ ، ثم نشرت الصحف قوائم الذين حصلوا على مصاريف سرية .. فما الذى يمنع — وسط الجدل والمتاهات الدائرة الآن — من نشر كشوف باسماء الذين تعاونوا بأجر أو أى مقابل كعملاء للمخابرات أو لغيرها من الأجهزة خلال الفترة من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أو من ١٩٥٥ عندما صدر قانون انشاء المخابرات حتى ١٥ مايو ١٩٧١ عندما سقطت جمـاعة مراكز القوى .. واقصد هنا : اسماء الصحفيين والكتاب والفنانين والمهنيين

.. وليس الذين استخدمتهم المخابرات كعملاء محترفين وصارت هذه هى حرفتهم الوحيدة ، ولا عمل لهم سواها !

اننى اصر على هذا الطلب حتى يتبين — كما يقولون — الغث والردىء .. الأصيل والانتهازى .. الشريف وغيره !

اننا نطالب بهذا ، لأننا ببساطة نرفض أن يتحدث المشركون بالله عن فوائد الصـــلاة !

ولا يلومنا احد اذا سخرنا عندما يقسم القواد بشرفه !

من ذلك كله ، أو بسببه ، كان لابد لنا أن نسهم بدور — مثل كل المواطنين العاديين الشرفاء — فى القضية المطروحة والصراع !

ليس للدفاع عن جمال عبد الناصر .. كرجل !

وليس للدفاع عن الناصرية .. كمجرد نظرية !

انما ، اساسا ، للدفاع عن الثورة التى قامت من أجل الملايين على الأرض المصرية والعربية .. بل وامتدت تاثيراتها للاسهام بدور ايجابى شـديد الفاعلية فى حركة التحرر العالمى .

دفاعا عن حق الانسان فى حياة حرة كريمة ..

وايمانا بأن هذا الحق ، لا يقدم للناس على طبق من الفضة ، لكنه يتطلب حتما .. مزيدا من الجهد .. من العرق والدم .. من الكفاح ، وصـــولا الى ما نريد !

ومن ناحية أخرى ، فانه من الضرورى ، أن تتبلور النظـــرية المصرية للثـــورة بوجهيها : المصرى والعربى ، بأبعادها السياسية والاقتصـــادية والاجتماعية ، بشرعية نضالها .. وبرصيد انجازاتها ، بتأييد الملايين لها على اتساع الرقعة العربية بل وغير العربية ، **حتى لا يصبح المجال خاليا يعبث فيه اصحاب الفلسفات المستوردة او النظريات الجوفاء ! وهم الآن** — ولأسباب تتعلق بطبيعة المرحلة ، ولأسباب صـــنعناها نحن بأيدينا —

يطلقون صيحاتهم ويمارسون نشاطاتهم فى محـــاولة استقطاب الجمـــاهير العربية ولو عن طريق ركوب الموجة الناصرية والدفاع عن جمال عبدالناصر !

كان لابد اذن من المشـــاركة ..

لكن كيف ؟

قفزت فكرة أولى .. باستدعاء شواهد التجربة المصرية . كيف كان حال لفلاح مثلا أو العامل قبل الثورة وكيف صار بعده ؟ وكيف كانت الحكومة تسقط بنصف مليون جنيه يدفعها مليونير مثل احمد عبود للسراى ؟ كيف تطورت الرعاية الصحية وصارت ــ كما التعليم والعمل ــ حق لكل مواطن ؟ ما هو حجم المبالغ المستثمرة فى الصناعة الآن ، ومنذ عشرين سنة ؟

و ...

وقفزت فكرة اخرى بتناول اشخاص الذين يهاجمون الآن .. من هم ، ما هو تاريخهم .. وما هى أهدافهم « الحقيقية » ؟

و ...

وقفزت فكرة ثالثة بتناول ــ لا اشخاص ــ وانما الموضوعات التى أصبحت مواضع هجوم ضد الثورة وقائدها .. حتى نستقرىء بالأدلة : هل ما يقولون هو الصواب أم حمى كلام **موتـــور** ؟ !

و ...

و ...

و ...

وأخيرا ، بعد معاناة البحث والاستقراء واللقاءات المتعددة ، استقر الراى على استدعاء « **الشهادات التاريخية** » ذاتهـــا بحيث يتكلم الذين عاشـــوا المرحلة ، بصدق وأمانة ، لتوضع شهادتهم أمام الباحثين .. وأمام التاريخ !

ولقد يقول قائل ان هذه الرؤية تتخذ منظارا واحد ، وتنحاز الى جمال عبد الناصر والثورة ، ومن ثم فانه من الدقة القول ــ بصراحة ــ انهـــا

رؤية ناصرية ! أو تسمى الأشياء بمسمياتها فيقال ان هذا الكتاب **هو مذكرات أو ذكريات هدى عبد الناصر** ، دون التمسح بالتاريخ وحركته !

اذا قيل ذلك ، فاننى أرد على الفور ، اننى بقرار قطعى لا يقبل التاويل ، من المؤمنين بثورة يوليو وبجمال عبد الناصر !

وأرد ، فى مواجهة الذين يهوون الصيد فى الماء العكر ، **أن هذا الايمان لا يتعارض مع الاقتناع والتاييد لأنور السادات** ، بل على العكس هو بداية له ، لأن السادات لم يأت من فراغ لكنه عضو أصيل وأساسى فى ثورة يوليو ، وشريك لعبد الناصر ، وهو كما قلنا دائما وكما أعلن هو صراحة لم يبــدأ ثورة جديدة فى ١٥ مايو ١٩٧١ ، لكن ثورته تلك فصل من كتاب يوليو الضخم . لتصحيح المســار ولتقليم الشوائب التى ظهرت ، وذلك حــدث فى كل **ثورة أصيلة** ، وكتب التاريخ زاخرة بالشواهد !

ثم أقول ، أنه لا بأس — **من ناحية موضوعية** — من عرض رؤية ناصرية خالصة ، ذلك لأن الرؤى الأخرى فرشت الساحة ، عبر عشرات الكتب وآلاف الكلمات فى أعمدة الصحف والمجلات ، وعلى هــذا لابد من عرض الرأى الآخر !

اى أنه من محصلة وجهات النظر المتعددة ، ومن مجموع الشــهادات المختلفة ، يمكن الوصول « بالحق » الى التاريخ « الحق » !

اى أنه يمكن تقديم هذا الكتاب ، على أنه مذكرات أو ذكريات أو حوار مع هدى عبد الناصر وفقط ، وفى هذه الحالة يصبح شيئا له قيمته وأهميته المستمدة من قيمة صاحبة الذكريات .. لكننا فوق هذا نضعه — أى الكتاب — ضمن مجموعة الكتب التى تتناول تاريخ الثــورة وقائدها .. معلنين انه لا يحكمنا سوى ثلاثة أمور أساسية :

١ — الايمان بالتجربة الوطنية المصرية بقيادة جمال عبد الناصر ثم انور الســادات .

٢ — التمسك بالحقيقــة وحــدها .. مهمــا كانت حلاوتهــا او مرارتها !

● عبد الناصر والسادات أثناء صلاة الغائب [سنة ١٩٧٠]
ترحما على أرواح شهداء مصر والعروبة فى ذكرى ٥ يونيو ●



٣ — التصدى — بكل الجهد والطاقة — لمحاولات التزييف التى لا تستهدف سوى تقويض البنيان المصرى العربى .

وأظننى بعد هذا كله مطالب بان اطوى اوراقى لاترك المجال للحقيقة بنبضها .. وحدها .»

محمـــود مراد

- « أول مرة شعرنا فيها بالسعادة ـ بعد ٢٨ سبتمبر ـ عندما أطاح السادات بجماعة مايو ١٩٧١ »
- « أنهم أبعد ما يكون عن عبد الناصر والناصرية .. وكانوا ـ مثلا ـ يريدون القبض على زوجى »
- سر السيارات الحديثة التى ركبها أولاد عبد الناصر بعد رحيله ؟
- قرينة القائد الخالد تقول لأبنائها :

« تذكروا كلمات أبيكم .. كانت أعز أمانيه أن يحرر البلد من اليهود »

« ثم نذهب لنقيم فى بيت صغير ، كأى أسرة ، أدى الأب فيها واجبه لأمته »

ـ ١ ـ

قالت لى هدى ـ كبرى ابناء القائد الخالد جمال عبد الناصر ان أول مرة شعرت فيها بالسعادة ، هى وأسرتها ، منذ الرحيل الحزين فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، كانت عندما أطاح الرئيس انور السادات بجماعة مايو ١٩٧١ !

اكدت هدى على حروف كلماتها وهى تقول :

« ربما تعلم ان زوجى حاتم صادق كان أحد الذين استهدفتهم المؤامرة ، وكانت الخطة ـ كما جاء فى التسجيلات ـ ان يتم القبض عليه هنا فى المنزل !

« وربما لا تعلم ان سامى شرف يكن لى كراهية شديدة منذ أن عيننى أبى سكرتيرة له بعد أن اشتدت عليه وطأة الأزمة القلبية فى ١١ سبتمبر ١٩٦٩ ..

« كان سامى يريد أن يكون القناة الوحيدة التى يمر من خلالها اى امر يصل الى الرئيس ، او يصل منه ! »

وبدأت هدى تسرد وقائع متعددة ، تتذكرها كأنها حدثت بالأمس فقط .. وأحيانا ما كانت تنظر الى حاتم ليتبادل معها الحوار حتى تتكامل الصورة ، بأحداثها كما وقعت بلا اضافة أو نقصان !

« اننى أتذكر جيدا عقب عودة أبى من قصر القبة ، بعد أن القى رسالته الى الأمة فى ٩ يونيو ٦٧ — معلنا استعداده لتحمل المسئولية .. مقررا تنحيه عن رئاسة الجمهورية .

« كان المشهد فى بيتنا موحشا وكئيبا ..

« كل رجال الدولة وكبار المسئولين واجمون ، الحزن يطل من عيونهم ، والفزع يكسو ملامحهم .. وبين هؤلاء كان **سامى شرف يبكى ثم أغمى عليه لينقلونه الى مكتبه المجاور ، أما شعراوى جمعة ، فكان يولول فى بكاء مرتفع الصوت ومن خلال تشنجاته جلس على سلم البيت وهو يصرخ : « احنا لينا مين غيرك يا ريس » .. و ..**

وتستطرد هدى : « كانت هذه الصورة فى ذهنى باستمرار .. وفجأة تجىء صورة أخرى من مشاهد ٢٨ سبتمبر ..

« لم اكن ساعة الرحيل المؤلمة فى منشية البكرى — مقر الرئيس عبدالناصر — وعندما وصلت ، كان رجال الدولة ايضا فى البيت .. وكان بينهم **سامى شرف وشعراوى جمعة** .. وكم كانت دهشتى عندما رايتهما جامدين !

« أين البكاء والعويل المرتفع ؟

« أين الاغماء .. والتشنج ؟

« طبعا — تقول **هدى** مستنتجة — لقد فعلوا ما فعلوه من حركات فى ٩ يونيو ١٩٦٧ .. لأن الرئيس كان حيا ! لكن فى ٢٨ سبتمبر الذى كان يستدعى — لو صدقوا — ان يمزقهم الالم .. لم « يغمى على أحد منهم » لانه من المهم أن يكون واعيا حتى يدبر حاله .. ! فالرئيس قد رحل .. وبقيت السلطة للصراع !! .

« اننى أعلم أنهم ـــ!!ـــ يحسبون جماعة مايو على عبدالناصر والناصرية..

« لكن ذلك ليس صحيحا أبدا !

« ان هؤلاء أساءوا الى عبد الناصر فى حياته .. دون ان يدرى !

« وأساءوا اليه بعد رحيله ... دون حياء !

« بل وأساءوا لنا نحن ــ أسرة عبد الناصر ــ وفرضوا علينا ارهابا لم تحتمله أعصابنا ، وظل الأمر هكذا .. حتى أطيح بهم فى مايو ١٩٧١ » .

* * *

كانت أسرة جمال عبد الناصر ، اذن ، مثلها مثل قطاعات الجماهير العريضة سعيدة بعملية مايو التى صححت مسار ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، واعادت لها وجهها الصحيح ..

بل ان الرئيس السادات كرما منه فى معاملة أسرة قائد ثورة يوليو ، ورفيق الكفاح والنضال ، امر باستبدال ما اديها من سيارات باخرى مرسيدس حديثة من سيارات رئاسة الجمهورية .. ولعله لهذا السبب ارتفعت الأقاويل عن أبناء عبد الناصر والسيارات التى يركبونها .. من أين جاءوا بها ؟ وهل نهبوا أموال الدولة .. أم أشتروها من الأموال المهربة !

كان السبب الذى لم يعرفه ، ولا أظن يعرفه أحد ، حتى الآن .. هو هذه المنحة الكريمة من الرئيس السادات !

واستمر الحال هكذا ..

فى هذه الأثناء .. فى يناير الماضى (١٩٧٥) وقفت كريمة العروسى ــ عضو مجلس الشعب ــ عن دائرة الموسكى ــ تطالب تحت قبة البرلمان بالحد من الاسراف وضرورة ضغط النفقات ، وضربت لذلك مثلا بما يصرف لأسرة رئيس سابق ــ !! ــ من مخصصات !!

وعرفت السيدة الجليلة قرينة القائد الخالد بهذا ..

سمعت بنفسها من راديو القاهرة !

ودهشت !

ذلك ، انه بعد رحيل جمال عبد الناصر انعقد مجلس الأمة ــ هكذا كان اسمه وقتها ــ فى ٧ أكتوبر ١٩٧٠ ، وقرر بالاجماع أن :

« تتنازل الدولة عن ملكية الدار التى كان يقيم بها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بالقاهرة والاسكندرية ، وملحقاتها الى أسرته طوال حياتها . **على أن تخصص الدار بعد ذلك كمتحف ومزار** تخلد فيه ذكرى الرئيس وتستمر معفاة من جميع الضرائب والرسوم » .

« واعطاء معاش للورثة ، مساو لما كان يتقضاه الرئيس الراحل من مرتب ومخصصات معفاة كذلك من الضرائب » .

* * *

هذا ما قررته مصر ــ ممثلة فى مجلس الأمة ــ للأسرة .

فلماذا اذن ترتفع الآن هذه النبرة !

لحساب من ؟ .. ولأى هدف !

وبلا تردد ، **كان قرار السيدة تحية ، هو تنفيذ قرار مجلس الأمة** ــ المذكور ــ طبقا لنصوصه الواضحة .. اى البقاء فى « الدار والحصول على المرتب كمعاش » أما السيارات بسائقيها فقد قررت اعادتها الى الرئاسة لتكون تحت تصرفها .. مع شكر رقيق واصرار على عدم استعمالها !

وبالفعل فشلت كل **الجهود** لكى تعدل ما قررته !

قالت السيدة الجليلة لأولادها :

« لا تنسوا كلمات ابيكم ..

« كان دائما يقول ان ما نحن فيه ، ليس ملكنا ، لكنه عهدة للدولة ..

« كانت اعز امانيه واغلاها ، ان يحرر البلد من اليهود ، ثم نذهب جميعا لنقيم فى بيت صغير ، فى سعادة اى اسرة مصرية ادى الأب فيها ما عليه من دور لبلده وامته .. »

والربما يقفز هنا سؤال او تساؤل :

● **هل معنى هذا ان السيدة الجليلة ، لم يكن لديها ، ساعة ان قررت ذلك ، اية سيارات ؟**

وتجيء الاجابة بأنه كانت لديها سيارة ، ملكيتها بأسمها ، وهى مرسيدس جاءتها سنة ١٩٦٨ ودفعت لها الجمارك المستحقة ، ولا تزال فواتير الجمارك معها حتى الآن !

بل انها تذكر ان الراحل الكريم سالها عنها اكثر من مرة ، طالبا الاحتفاظ بها ، وكأنه ببصيرته **يتنبسا** !

* * *

ايضا تتذكر السيدة تحية عبد الناصر ــ قرينة القائد الخالد ــ ان رجلها كان دائما يسالها عن « **العفش** » القديم .. عن اثاث البيت الخاص بالأسرة .

كان يقول لها ان المقعد الذى تجلس عليه ، والطبق الذى تأكل فيه .. ان كل ما تستخدمه أو تراهحولها هو ملك للدولة ، هو عهدة اميرية !

وكانت هى برغم الغريزة الطبيعية للمرأة .. الزوجة والام .. فى حب التملك .. تقبل بهذا ..

ان جمال عبد الناصر بالنسبة لها ــ فوق كونه زعيما وقائدا ورئيسا ــ **هو رجلها وزوجها .. من قبله لم تسعد ومن بعده لا تسعد .. بل تتوه فى صحراء الوحدة المعــذبة ..**

تتذكر رفيقة الحياة ، يوم قال لها شقيقها الاكبر ان « عريسا جاء يطلب يدها » .. شاب فارع العود فى عينيــه بريق .. وفى صوته نبرة لا تنسى ، توحى ملامحه ــ برغم قسمات وجهه الحادة ــ بطيبة قلب .. ونقاء رجولة .

راته اول مرة فى منزلها بكوبرى القبة .. على بعد أمتار ليست عديدة من ذات المنزل الذى تقيم فيه الآن ، كان جالسا .. عاقدا يديه بين ركبتيه يتحدث مع شقيقها .. ودخلت هى ونهض يصافحها ، ويغض وتغض الطرف ! وتخرج من بين الشفاه كلمات قليلة ..

انها تتذكر الآن كل شيء ..

- **خطاباته التى كان يرسلها من فلسطين** ، من وسط اللهب والحصار ..
- وصيته مساء ٢٢ **يوليو ١٩٥٢** ، عندما تركها لينفذ أخطر حدث تاريخ مصر والأمة العربية والقارات الثلاث المناضلة : أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية ..

- **كلماته الحنونة ، لما عاد مساء ٢٧ سبتمبر ٧٠ قائلا لها** انه لم يعد يحتمل طول البقاء فى فخامة الهيلتون (حيث عقد مؤتمر الملوك والرؤساء وخاض أنبل معاركه حماية للقضية الفلسطينية من القتل الذى كان مؤكدا) وانها — هكذا قال — قد وحشته هى والأولاد .. ويشعر انه يريد قضاء هذه الليلة معهم .. **كان** مرتاحا — برغم الألم — سعيدا بما أنجز .. مرحا برقته المعهودة ، بل انه داعب ابنته « **منى** » وهو يسألها — **بحكم طبيعتها المتفتحة** — عن نبض الرأى العام .. عن ردود الفعل .. وعن **الوثائق النفسية للشعب** — أعنى — عن آخر نكتة !

* * *

تتذكر السيدة تحية عبد الناصر ، وهو يقول لها :

« ان شاء الله ندخل المعركة قريب ، نحرر البلد ، نطرد اليهود من الأرض العربية اللى أخدتها فى ٦٧ ، وبعدها يبقى عملت الواجب اللى على .. الدين اللى فى رقابتى ، وأسيب الرياسة .. وناخد « عفشنا » ونروح نقعد فى بيت صغير ، وساعتها أوديكى البلاد اللى عايزة تشوفيها (معروف انه لم يكن يصطحب قرينته فى الزيارات الخارجية الا نادرا) .. نروح أوربا ونتفرج » .

انها تتذكر ، انها لم ترد فى حياتها سواه .

لم يكن تهمها زيارة .. أو فرجة .

يكفيها منه قلبه الكبير .. وحنانه .

وتتابع الذكريات ، وهى وحيدة فى البيت تتعذب فى صحراء الوحدة ..

ان هدى مع زوجها وكذلك منى ، وخالد فى لندن يدرس .. وعبد الحميد ايضا ! أما عبد الحكيم ــ الأصغر ــ فهو فى الاسكندرية مع خطيبته .. وعندما سيعود سيكون أغلب الوقت أيضا مشغولا بخطيبته ..

* * *

وحيدة هى اذن فى المنزل الكبير ..

ترفض عندما تبيت وحدها فيه أن تجىء ابنتها .. تقول

« يجب ان أتعود على أن أبقى وحدى ..

« غدا .. سوف يتزوج عبد الحكيم ويخلو البيت ، لذلك يجب أن أراتب نفسى ، أن أواجه ــ كما علمنا الريس ــ : المشاكل بغير هروب » .

وتغالب السيدة الجليلة دموعها ، وهى تحبس كلماتها :

« بل .. لقد أصبحت وحيدة منذ أن رحل » !!

* * *

كان عبد الناصر يعيش بين أسرته كرجل عادى ، كان مثلا لا يحب أن يتحدث أحد من أبنائه ــ ذكورا أو اناث ــ عن الرغبة فى استيراد ملابس من الخارج .. صحيح ان ذلك كان يحدث ، لكنه فى أضيق نطاق ومثل أى شخص لديه بعض الامكانيات .

وربما لهذا كان يمقت شراء الكماليات من الخارج وبسبب ذلك دخل فى مناقشات حادة مع اللجنة المختصة بالاستيراد عندما وجد فى القائمة التى أعدتها أصنافا لا يستخدمها هو فى حياته ، بل لم يسمع عنها على الاطلاق .. وكان يقول : **« اذا كنت انا لا اعرف هذه الانواع فهل يعرفها معظم الشعب .. الفلاحين والعمال والموظفين والجنود .. يعرفها الضباط ؟ يعرفها مين غير أصحاب الملايين أو الآلاف .. وكام واحد فى مصر عنده هذه الامكانيات ؟ وهل دى الحاجات اللى الدولة تتولى بنفسها استيرادها ؟ »**

وبسبب هذه النظرة أيضا حدثت واقعة **على صبرى** المشهورة !

وللأسف فان بعض الذين تصدوا للكتابة عن تاريخ الثــورة .. وعن علاقات عبد الناصر ، كتبوا ان السوفييت وضعوا أعينهم على « على صبرى » كخليفة لعبد الناصر وأنهم فاتحوه فى هذا الكلام . وبالطبع أخفى على صبرى هذه الحكاية عن عبد الناصر الذى علمها من مصادر أخرى فبيت له النية حتى قام بفضحه عندما نشر عن طريق هيكل فى « الأهرام » عن البضاعة التى جاء بها من موسكو وقام باخراجها من المطار بدون جمارك !

ان هذا ليس صحيحا ..

قد يكون صحيحا ان على صبرى شكل مركز قوة ، وان له طموحاته .. لكن حكاية البضائع مختلفة تماما .

ان وقائعها الحقيقية ، بدأت فى موسكو عندما أرسل سكرتير على صبرى الذى كان يرافقه هناك — برقية الى أمانة التنظيم فى الاتحاد الاشتراكى (التى كان يرأسها صبرى) مطالبا — أو آمرا — بتجهيز سيارتين لورى تكونا فى استقباله بالمطار لأنه ستكون لديه منقولات زنتها .. طنا !

وبالفعل دخلت السيارتان وحدث ما حدث ..

فى هذه الأثناء كان عبد الناصر فى الاسكندرية .. وبعد ايام مما حدث عرف بالواقعة ، **فاكفهر وجهه .. وطلب البرقية ليستوثق بنفسه قبل ان يقرر ، ولمـــا قرأها قال :**

« طيب بيشتروا من بره .. وقلنا زى بعضـــه ! كل الناس بتسافر وتشترى .. انما طن ؟ وبعدين تفوت البضاعة كلها من غير جمارك ، وبلوريات الاتحاد الاشتراكى ؟ ! أمال الناس الغلابة تعيش ازاى ؟ يا ناس ده احنا فى حرب ! ولادنا بتموت ؟ ! »

و .. وكان قرار باعفاء على صبرى من أمانة التنظيم ونشر الحادث بتفاصيله كاملة .. ليكون ذلك عقابا وعبرة .. وليس أبدا كما يقول البعض الآن .. حتى « يحرقه » كمرشح أو متطلع للخلافة .. **ذلك ان عبد الناصر** — كما كان يردد دائما — **ينظر الى على صبرى كمجرد سكرتير له .. حتى بعد أن صار رئيسا للوزراء !**

- هل استولى عبد الناصر على جوهرة التاج الايرانى وباعها ابنه خالد فى أوروبا ؟
- « كان أبى يرفض هدايا الأفراد والهيئات التى تنتهز الفرص مثل يوم زواجى ... »
- « وزير الداخلية بعث هدية صغيرة باسمه ، ومعها هدية أغلى ... باسم هيئـــة الشرطة ! » .
- « هيكل : أتحدى من يقول ان عبد الناصر مات وهو يمتلك أموالا فى الخـــارج » .
- عبد الناصر : « ليس لى مقر سوى : بيتى ، أو سجن القلعة ، أو ثرى مصر ! » .

— ٢ —

فى ٢٦ فبراير ١٩٦٩ ، ادلى جمال عبد الناصر بحديث صحفى الى س . ل. سولز برجر رئيس تحرير النيويورك تايمز ، نشر فى ٢ مارس ، وفى نهاية الحديث كان السؤال قبل الأخير ، كما يلى :

- « هل يمكنك الحديث عما تحلم به لمصر خلال ربع القرن القادم ، سواء من حيث الأوضاع الداخلية للمجتمع المصرى أو من حيث مركز مصر الدولى ؟ »

وكانت اجابة جمال عبد الناصر :

« انك تعلم اننا لم نستطيع تحقيق كل أحلامنا على امتداد السبعة عشر عاما بسبب المشاكل المستمرة : الاحتلال ، عدوان ١٩٥٦ وما الى ذلك ..

« ان أمنيتى الاساسية هى تنمية بلادى : كهربة كل القرى ، وتوفير فرص العمل لكل القادرين عليه . لقد بذلنا كل الجهد لكى يعمل كل قادر على العمل برغم مشاكل عديدة مثل تزايد السكان بمعدل يصل الى المليون نسمة سنويا . وعلينا تحقيق المزيد لكى نوفر فرص عمل لنصف مليون نسمة سنويا ، وخلال هذا العام (١٩٦٩) ستدخل الكهرباء ٣٠٠٠ قرية ولدينا فائض من الكهرباء والمياه ، فلدينا الان مياه السد العالى ، الامر الذى سيساعد على استصلاح المزيد من الاراضى ، وما ينقصنا هو المال للاستثمار .

« **ونحن نريد أيضا استعمال هذه الكهرباء ..** ولدينا لجنة من الخبراء السوفييت انتهت بالفعل الى توصيات محددة فيما يتعلق باستخدام الفائض من كهرباء السد العالى .

« **كذلك فاننا نريد تطوير صناعة الأسمدة والفوسفات ،** ونحن نتخذ المزيد من الخطوات فى ميدان الصناعة الثقيلة ، اننا نبنى الآن — بموجب قرض من الاتحاد السوفيتى ، مصنعا للصلب ستنتهى المرحلة الأولى منه عام ١٩٧٢ ، وسيصل انتاجه الى مليون طن من الصلب . كذلك فان علينا تشجيع الاستثمارات فى القطاع الصناعى .. »

« ان هذا بالطبع هو ما أحلم به ..

« اننى أريد — قبل أن ينتهى بى الأجل — ألا أرى خادما واحدا فى هذا البلد ..

« ان الكثيرين الآن لا يجدون الخدم بسهولة .. وكلما أزداد العثور على الخدم .. صعوبة ، كلما دل ذلك على استمرار تزايد ارتفاع مستوى المعيشة » ..

●● وكان السؤال التالى — أى الأخير فى الحديث — الذى وجهه سولزبرجر الى عبد الناصر ، هو :

● « انك لم تدخل بعد مرحلة الشيخوخة (٥٢ عاما وقتها) فما هو حلمك الشخصى خلال السنوات الخمس والعشرين القادمة ؟ هل هناك — خارج نطاق حياتك السياسية — ما تود لو أنه تحقق فى هذا الوقت ؟ »

●● ورد جمال عبد الناصر معبرا عن امانيه الخاصة :

« ليس لى حلم شخصى ..

« ليس لى حياة شخصية ..

« وليس هناك شيء لشخصى ..

« قد لا يصدق الكثيرون ذلك ، لكن هذه هى الحقيقة . »

* * *

هل حقا ما قاله عبد الناصر من أنه ليست له حياة شخصية ؟

الم يكن يتمتع بالترف والعز والرخاء الذى يوجد فيه عادة — وبشكل طبيعى — رئيس الدولة .. أى دولة ؟

قال لى حسن التهامى ، أحد الأعضاء الأوائل لأولى خلايا الضباط الأحرار برئاسة جمال عبد الناصر ، والذى يشغل الآن منصب أمين عام المؤتمر الاسلامى ومقره : جدة فى السعودية ، والذى عينه الرئيس السادات أخيرا بدرجة نائب رئيس وزراء فى رئاسة الجمهورية بعد أن كشف عن دور هام له فى معركة السويس خلال حرب أكتوبر :

● « عبد النـــاصر . ؟ !

« لا .. لا .. لم تكن له أية حياة خاصة أو متع شخصية ، ان كل ما يقال حـــول هذا هراء !

« لقد كان مسلكه غاية فى الاستقامة ..

« صحيح اننى اختلفت معه لفترة ..

« وصحيح ان لى ملاحظات حول حكمه ..

« لكن حياته الشخصية ومسلكه ، بعيدا عن أى مطعن ..

« بل أن الرجل كان حازما فى تربية أولاده ، ومع أسرته ..

« اننى أذكر ، مرة كان عائدا من رحلة الى الخارج ومعه السيدة قرينته .. وبعد أن صافحنا ، اتجهت — بحكم معرفتى جيدا بأسرته — الى السيدة قرينته أحييها ، لا بالسلام يدا بيد ، وانما بايماءة من الرأس .. ولكننى فوجئت .. بارتباك على وجوه المرافقين .. وبعد أن ركب الرئيس وزوجته السيارة وذهبا . لم يذهب الارتباك من على الوجوه ، ولما استفسرت عن السبب قالوا لى ما معناه كيف أجرؤ على ما فعلت .؟!

« نعم الى هذا الحد ، كان الرجل محافظا .. ولم تكن له اطلاقا أية نزوات أو سهرات او حياة شخصية ..

« اذكر أيضا — الكلام لا يزال لحسن التهامى — ان وفدا من مسلمى أمريكا السود جاء الى مصر للقاء عبد الناصر وفى نهاية اللقاء قدم رئيس الوفد هدية ثمينة الى عبد الناصر لعمها قطعة من المجوهرات على ما أذكر ، لكن عبد الناصر رفض برقة شديدة قبول الهدية وقال لرئيس الوفد ان مواطنيه هناك فى أمريكا أكثر حاجة الى ثمنها للانفاق على وسائل رفع مستوى معيشتهم ..

« هذا هو عبد الناصر منذ أن عرفته ضابطا فى الأربعينات ، الى آخر مرة لقيته فيها أول سبتمبر ١٩٧٠ .. قبل رحيله باسابيع أربعة .. »

ويستمر حسن التهامى فى حديث طويل .. طويل .. طويل !

وبين وقت وآخر ، خلال لقائنا الذى امتد نحو ٤ ساعات فى منزله بضاحية مصر الجديدة كان يردد أنه سوف يعكف على اعداد كتاب ضخم بعنوان : « **صفحات من تاريخ هذا الجيل** » يروى فيه جهاده ، وجهاد الأحرار منذ أوائل الأربعينات حتى قيام الثورة الى الآن ..

« لقد قررت ذلك ، واخبرت به الرئيس السادات ، عندما التقيت به امس فى الاسكندرية .. وسوف ابدأ هذا قريبا ان شاء الله » .

ويسكت حسن التهامى — وانا جالس امامه فى صالون منزل يوم ٤ يوليو الماضى (١٩٧٥) — بعد ان أكلنا الحلويات وشربنا الشاى للمرة الثانية — واستثيره بسؤال آخر ويضحك قائلا اننى بهذه الطريقة استولى على فصل من الكتاب الذى يزمع اعداده .. واضحك معه ثم انتظر الاجابة :

● « تقول اموال مهربة ؟

« لا .. لم اسمع عن مال وضعه عبد الناصر باسمه فى الخارج .. اطلاقا !

« اننى أذكر أنه كانت هناك فكرة خلال العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ ، بأن ينتشر أعضاء مجلس قيادة الثورة والضباط الأحرار فى محافظات مصر لانشاء مقاومة سرية اذا نجح المعتدون ، ومعهم قوى الاستعمار العالمى، فى الوصول الى القاهرة ، ونبتت فكرة خلال هذه الأثناء بضرورة أن يكون هناك رصيد مالى لتمويل ، أو للانفاق على هذه المقاومة ..

« لكن الحمد لله .. انتصرت مصر فى هذه الحرب .

« وأعتقد أن شخصية عبد الناصر ، تتنافى مع ما تقوله عن أموال مهربة فى الخارج ! » .

* * *

تتداعى المعانى ، وتبرز حكاية يعرفها **صلاح الشاهد** جيدا

كان الشاهد كبيرا للأمناء عندما جاءت الى عبد الناصر هدية عبارة عن حقيبة فاخرة أرسلها المليونير السعودى **حسن الشربتلى** ، فحملها الى الرئيس الذى فتحها بحضوره .. وكانت المفاجأة انها كانت تحتوى على مجموعة نادرة من المجوهرات ..

وذهل عبد الناصر ..

وبهدوء حاسم قال لصلاح الشاهد :

« شيلها من قدامى بسرعة جدا وابعتها له على طول .. »

وقال صلاح الشاهد :

« يا فندم .. مفيهاش حاجة .. كل الرؤساء بيقبلوا الهدايا .. »

ونظر اليه عبد الناصر :

« يا صلاح ، شيلها وابعتها له فورا . هدايا ايه ، وليه ؟ »

وقال صلاح الشاهد ، برقة رجل البروتوكول : « يا فندم .. الراجل عايز يعبر عن مشاعره لسيادتك .. ويتأثر لو الهدية رفضت .. »

وردّ عبد الناصر : « **أنا قلت ابعتها له ، يعنى تبعتها له .. أنا مش عايز حد لا يزعل ولا يتأثر ، لكن أعمل أيه بالمجوهرات دى .. وليه ؟ اذا كان عايز يعبر ، زى ما بتقول ، يبعت أى حاجة رمزية .. صغيرة جداً .. قلم حبر مثــلا » !**

و .. بالفعل ارسل الشاهد ، الى الشربتلى ، مجوهراته فى ذات اليوم ، وبالفعل أيضا أرسل المليونير العربى هدية جديدة للرئيس ، وهى : قلم حبر باركر . !

* * *

هكذا كان جمال عبد الناصر يرفض مثل هذه الهدايا الثمينة ، وان كان طبعا يقبل ــ كما تروى ابنته الكبرى هدى ــ هدايا الملوك والرؤساء خلال زياراتهم .. وهى هدايا ، فى معظمها رمزية .. ويجرى تبادلها فى المناسبات. اما الهدايا التى ــ ان جاز تعبيرنا ــ بلا مشروعية فهى مرفوضة تماما .

تذكر هدى ، على سبيل المثال ، يوم زواجها .. أن البعض حاول استثمار المناسبة للتقرب ــ نفاقا ــ من والدها غير أنه تصدى لهذا بحسم !

وكنموذج فان عبد العظيم فهمى ــ وزير الداخلية وقتها ــ أرسل هدية باسمه وحرمه ، عادية ومناسبة وقد قبلت بالطبع مع التقدير .. غير أن الأمر الذى أغاظ عبد الناصر عندما فوجىء مع نفس هدية الوزير (الشخصية) بهدية اخرى اغلى ثمنا باسم « هيئة الشرطة » !

ولا داعى لكى نقول هنا تعليق عبد الناصر يومها .. يكفى القول انه ارسلها مرة أخرى الى الوزير .. قائلا ان مال الدولة ليس مخصصا للهدايا الشخصية ، حتى ولو كانت لابنة رئيس لجمهورية او .. حتى له هو نفسه !

* * *

قلت لحسن التهامى :

ــ الم تسمع عن ماسة ، أو قطعة مجوهرات ، باعها خالد أكبر الأبناء الذكور لعبد الناصر ، فى لندن أو باريس ، أن هناك رواية تقول أنه ذهب بها الى الجواهرجى .. فشك هذا فى الأمر وكان أن فحص هذه القطعة النادرة .. ! .. ولما تبين انها من التاج الايرانى .. أسرع يتصل بسفارة

ايران التى اتصلت — بدورها — بطهران فقيل ان هـذه القطعة اهديت للأميرة فوزية — شقيقة الملك السابق فاروق — عند زواجها بالامبراطور .. وبالتالى صارت هذه القطعة من حقها ومن حق مصر ، ومضت الرواية تقول : ان الجواهرجى اتصل بالسفارة المصرية وبالبوليس .. ثم حفظ التحقيق منعا للفضيحة !

قال حسن التهامى :

● **« خالد يفعل هذا ؟ .. ومن أين أتى بها . ؟ »**

— **من المجوهرات المصادرة ..** أى أن عبد الناصر أخذها ، وتصرف فيها ابنه بعد رحيله ! ؟

● « لا .. لا .. هذا كلام فارغ ! اننى لم اسمع بهذا .. ولا يمكن أن يكون هذا قد حدث !

« عبد الناصر يستولى على جوهرة ؟

« لا . ان هذا افتراء على رجل شريف ، لم تكن له مثل هذه النوايا .. ولم تكن له هذه الأطماع !

« اننا يمكن ان نختلف معه فى السياسة .. فى نظام الحكم .. لكن فى مثل هذه الأمور أشهد بعفته ونزاهته ..

« ان الرجل ، لم تكن له حياة خاصة .. ولا متع .. ولقد أحسن تربية أسرته واولاده » .

* * *

عن هذه التربية ، قال لى **محمـد حسنين هيكل** خـلال مناقشة ، أن عبد الناصر كان يعامل أسرته ، بعيدا عن الرئاسة والزعامة .. وكان يعاملها كأب مصرى عادى .. كان حازما .. نعم .. لكنه لم يكن يستخدم القسوة مع أبنائه الا نادرا ..

وفى مناقشة اخرى من تلك المناقشات التى أجريها معه ، ويتهمنى فيها **هيكل** بحب الاستطلاع اكثر مما ينبغى ، وانى دائما أسأل عن كل شىء فى الحاح .. قال لى :

« انتى ادعى اننى اعرف الحقيقة ..

« اننى اعتقد واجزم ان عبد الناصر مات ولم يكن يمتلك مليما واحدا فى الخارج . ! اننى أتحدى أى مصرى أو غير مصرى يقول عكس هـــذه الحقيقة » .

*** * ***

وفكرت فى كلام هيكل ، وفكرت فى أن البعض سيقول انه يدارى عليه ـــ اى على عبد الناصر ـــ لأنهما كانا صديقين .. كما أن هيكل ـــ مثل ما يلمح البعض ـــ ينشر كتبا فى الخارج ويقبض ثمنها هناك .. لذلك فقد انتهزت فرصة أثير معه موضوع أجر هذه الكتب .. **وقال بينما كنت أتناول معه قهوة الصـــباح فى شرفة منزله المطلة على نيل الجيزة يوم الأربعـــاء ٣٠ اغسطس الماضى (١٩٧٥) .**

« ان موظفى البنك الأهلى المصرى مذهولون .. لأننى أحول كل ما أحصل عليه فى الخارج ، الى مصر .. بالطريق الرسمى .

« أن أى مليم أحصل عليه نتيجة نشر كتبى يصل الى البنك رسميا » .

« اننى ـــ فى حدود علمى ـــ الوحيد بعـــد **أم كلثوم** .. الذى لا يحتفظ بماله فى الخارج ، وانما يحوله الى البلد .. بالطريق المشروع ..

« يا أخى ، فليعتبرونى مثل **عمر الشريف** ، هو نجح فى أن يكون ممثلا عالميا ، وأنا فى أن أكون كاتبا .. الفرق بيننا ، انه يقيم فى الخارج بصفة دائمة ، **اما أنا** فانه خارج اهتمامات مصر ليس لى عمل ، وخارج أرضها ليس لى بيت ، وليس لى مال ولا أمل ، وخارج ترابها ليس لى قبر » .

*** * ***

واذا كان هيكل يقول ذلك ، فان عبد الناصر هو الآخر ومن قبله كان يقول فى حياته .. انه ليس له مقر سوى ثلاثة اماكن .. **أما بيته فى منشية البكرى ، وأما سجن القلعة اذا وقع انقلاب ، وأما ثرى مصر اذا مات !**

كان يقول دائما هذا الكلام .. وكان يمارسه .

لم يكن يغادر منزله لسهرة أو لنزهة .. لم يكن يرى ـ حسب تعبيره على حد ما روت ابنته هدى ـ أسفلت الشارع ، الا اذا كان متوجها لرئاسة مجلس الوزراء ، أو لاستقبالات ضيف .

وفى مرة ، خرج فى نزهة سرية .. فى سيارة لم يكن بها أحد سوى هو وسائقه « عم شعبان » .. وتجول بالسيارة فى شوارع القاهرة .. الى الجيزة وشارع الهرم . وبدل أن يعود منتعشا من النزهة ، كان متأثرا ثائرا .. وأمسك بالتليفون يطلب المسئولين **لينعى حالة الشوارع وما حدث فيها من مطبات وحفر .. ويناقشهم فى مشروع القاهرة الكبرى .. وكيف ينفذونه بينما يعطون تراخيص جديدة لمبان شاهد عملياتها ، تقام وسط أماكن ـ مثل ميدان الجيزة ـ من المفروض أن تتسع لتكون ميادين وحدائق عامة تعطى بالخضرة .. رئة تتنفس بها القاهرة !**

***

كانت تلك هى نزهاته .. وتذكر هدى أول مرة سافرت فيها الى أوربا كانت مع زوجها الى باريس ، قبلها قال لها عبد الناصر الأب :

« سافروا .. اتفرجوا على كل حاجة .. أوعوا تحبسوا نفسكم فى اللوكاندات أو « العزايم » .. روحوا كل حتة .. » .

قالت هدى : وعدد لنا الأماكن التى نزورها .. انه لم يسافر الى أوربا طوال حياته ، لكنه كان يعرف خباياها من خلال اطلاعه وقراءاته التى كانت تتجاوز القضايا السياسية الى مختلف النواحى والمجالات .. ذلك أن السياسة فى رأيه ليست الا نتاج الحياة بعلاقاتها وتداخلاتها وتعقيداتها . ثم انه لم يكن يكره أن يتنزه أحد أو يتمتع فى حدود المشروعية » .

يكمل الحوار حاتم صادق فيقول :

« عندما كان يتفرج على الأفلام فى صالة السينما الصغيرة بالمنزل ، كان يختار نوعين من الأفلام ، نوع يعبر عن حياة الشعوب ومشاكلها ، ونوع على النقيض هو الأفلام البوليسية و « رعاة البقر » لأنها لا تحتاج الى تفكير ، أى ينشغل بها أو يحاول الانشغال عن المشاكل والعمل الذهنى ، كنوع من العلاج !

« وكنا — احيانا هدى وأنا — واحيانا بمفردى نجلس معه لمشـاهدة الأفلام ، غير انه كان يشعر اننا نفعل الواجب ، نمكث حتى نؤنسه ولهذا كان يقول لنا :

« أنتم حابسين نفسكم معايا هنا ليه ؟ ده سجن انفرادى محكوم بيه على .. روحوا أنتم أخرجوا .. السينما مش بس متعة الفرجة على الفيلم ، انما اللبس والخروج ، ومعايشة الناس وهى بتتفرج .. ثم هى دى أفلام اللى أنا بشـوفها ! »

كانت متعته محدودة .. تنحصر فى حديقة المنزل .. يهتم بها .. يزرع بعض أشجارها بنفسه ، ومنها مثلا « شـتلات » فاكهة هندية اسـمها « شيكو » رعاها بنفسه واهتم بها . وكان يتطلع الى يوم أن تأتى فيه الطرح والثمر .. ولقد نمت « الشيكو » فعلا وجاءت بالثمرة .. لكنه كان قد رحل !

فى هذه الحديقة كانت أحلى أوقاته .. قبل حرب ٦٧ كان يمضى فيهـا صباح الجمعة مع أسرته كلها ، ثم يتناول غداءه مع الأسرة أيضا قبل أن يستريح قليلا ليستأنف بعدها العمل .. وبعد ٦٧ الغى هذا اللقاء العائلى يوم الجمعة حيث لم يعد لدى الرجل من فراغ حتى ولو فى اجازة الجمعة !

* * *

وفى هذه الحديقة .. كانت نزهته الوحيدة ، خصوصا بعد أن داهمته الأزمة القلبية فى ١١ سبتمبر ١٩٦٩ ، ومن ثم صارت النزهة « علاجا طبيا »، ولحقت المتعة أوامر الأطباء !.

كان عليه — طبقا لجدول العلاج — ان لا يمشى ما يزيد على كذا متر أو كذا دقيقة ، ويروى **حاتم صادق** انه كان يرافق عبد الناصر أثناء مشيه — ذات يوم — ولاحظ أنه كان مهموما بالمشاكل ، غارقا فى أدق التفصيلات ، بينما المفروض أن يتخفف منها — خاصة خلال المشى كعلاج .. كوصفة طبيبه — .. **وقال عبد الناصر لزوج ابنته :**

« اعمل ايه .. اذا كانوا كلهم سايبينى أشتغل لوحدى .. مفيش حد عايز يتحمل المسئولية .. وآدى الدكاترة كمان .. عايزين يحرمونى من متعة المشى !! ».

- عبد الناصر يقول لقرينته :
« جرى ايه يا مدام .. انتى نسيتى ؟ »
- لماذا اتصل بالمسئولين يعلق على ملابس زوجاتهم ؟
- « لماذا — يا أبى — لا ننظم العمل مثل البيت الأبيض ؟ »
- عبد الناصر استدعى حافظ اسماعيل لتعيينه وزيرا للحربية !

— ٣ —

« لقد عملت مع سامى شرف ، فى مكتب الرئيس للمعلومات ، لمدة عامين .. من منتصف سنة ٦٧ تقريبا الى منتصف سنة ١٩٦٩ .. اتعلم ذلك ؟

« لقد احسست — تقول هدى عبد الناصر — ان هناك امورا مريبة ، وان سامى يخفى عنى اشياء .. وذهبت الى والدى .. كنت اعلم مدى حالته الصحية ، ولم اشا ان اوجعه اكثر .. قلت له انى لا اريد الاستمرار فى العمل مع سامى شرف . سالنى لماذا ؟ قلت انى اشعر ان هذا ليس هو العمل الذى اريده ! سالنى اذن ماذا اريد ؟ قلت سأستكمل دراستى بالاعداد للماجستير والدكتوراه لاعمل فى الجامعة وافقنى على رايى لانه دائما كان يترك لنا حرية الاختيار طالما اننا نسير فى الطريق المشروع » ..

« وبعد فترة قصيرة ، جاءته الأزمة القلبية الحادة .. التى على اثرها لزم الفراش لفترة ، ودخل المصعد بيتنا — لأول مرة — وكنت معه فى غرفة نومه ، وكانت لديه أوراق كثيرة ساعدته فى ترتيبها فطلب منى أن احملها الى مكتبه فى الدور الأول .. وطلبت منه أن استمر فى مساعدته ، تخفيفا عنه ،

فسألنى : والجامعة .. والدراسة ؟ الن تتقدمى اليها هذه السنة الدراسية (١٩٦٩ — ١٩٧٠) ؟ فقلت له ان هذا ليس مهم ..

« ومن يومها أصبحت سكرتيرة له ..

« ومن يومها بدأت المتاعب الحقيقية مع سامى شرف ..

« ومن يومها اتسع أفق رؤيتى لأشهد ما يجرى .. »

* * *

لم يكن جمال عبد الناصر ، برغم ان أولاده كلهم شبوا أو ولدوا ، وهو قائد للثورة ورئيس لجمهورية مصر ، ثم للجمهورية العربية المتحدة ، يشركهم فى السياسة أو يجعلهم طرفا فى الأحداث ..

كان دائما يحذرهم من التعود على عيشة القصور واستخدام السيارات .. وتلبية ما يريدون !

بل انه عندما كانت السيدة الجليلة قرينته تطلب منه شيئا يشعر هو بعقلية المصرى ، الصعيدى انه « شيء غير عادي » .. كان يقول لها برقته البابسية التى كانت نعومتها تنطوى على الحزم :

« الله .. جرى أيه يا مدام ! انتى نسيتى ؟ »

ولم تكن السيدة تحية ، قد نسيت !

بل أنها لم تكن تنقصها حاجة قبل ذلك ، أعنى قبل الثورة ، وأرادت استعواضها .. لكنها كانت تريد حياة عادية .. مثل اى حياة لها متطلباتها ، ولها فى بعض الأحيان متعها الشرعية التى يمارسها عديد من الناس ..

لكنه هو .. كان — برغم كل ما وصل اليه — يعيش مثل اى جمال عبد الناصر حسين ، **رجل ينحدر صلبه من الصعيد (بنى مر مركز ابنوب الحمام — محافظة اسيوط)** .. جاء الى القاهرة وفتح عليه الله رزقا بدخل معقول وتزوج وأنجب .. ولابد أن يعيش هو وزوجته وأبناؤه فى سعادة لا تتجاوز الحد . ولابد أن يعرف أفراد الأسرة ان « **النعيم** » الذى يوجدون فيه ، هو حالة « **طارئة** » عليهم وليست « **دائمة** » ..

لكن ذلك ، لم يكن يعنى مثلا انه لا يريد لأحد أن يعيش فى رخاء .. أو أن يرتدى الزى المناسب الأنيق .

ولعل البعض يتذكر انه بعد حفل العشاء الذى أقيم فى ٢٣ فبراير ١٩٧٠ بمناسبة زيارة الرئيس اليوجوسلافى تيتو الى القاهرة ، عاد عبد الناصر الى منزله يتصل بعدد من المسئولين الذين حضروا الحفل ، يقول انه لاحظ ان زوجاتهم كن يرتدين ملابس رخيصة وغير أنيقة فهل فعلن هذا « **حتى يتظاهرن بالفقر أمامى ؟ اننى أعلم انهن يرتدين أفخر الثياب فى الحفلات الخاصة التى يحضرنها .. فلماذا يتخذن هذا المظهر أمامى وفى حفل رسمى ؟ اننى لست داعية للفقر ولا للبهدلة .. اننى ضد الاستغلال والملكية المستغلة .. لكنى لست ضد الرخاء .. ولا الاناقة !** »

* * *

قالت هدى ، وهى تسترسل فى الذكريات بطريقة تداعى المعانى ، وليست بالترتيب الزمنى أو حتى النوعى للموضوعات :

« **عرفت أشياء كثيرة خلال عملى معه كسكرتيرة .**

« **أدركت بيقين لماذا داهمه مرض السكر .. ولماذا أصابته الأزمة فى القلب . !**

« **كان كل الذين حوله يلقون عليه بالمسئولية .. يشركونه فى كل كبيرة وصغيرة .**

« **والأدهى من ذلك أن « البوستة » كانت تدخل له كما هى برمتها .. !**

« **ان أى** رئيس — لأى ادارة — وأى مدير — لأى قسم — تقوم سكرتاريته بعرض « البوستة » عليه بطريقة منظمة ، مع ملخص لما فيها مصحوبا أحيانا بالرد ، أو بالمعلومات المطلوبة ، أو بايضاح الموقف .. وأى مسئول لا تعرض عليه الصحف والمجلات كما هى .. انما باشارة لما فيها ، مما يدخل فى نطاق اختصاصه أو اهتماماته ..

« **وهكذا ..**

« لكن البوستة بمختلف أنواعها .. والصحف بأكملها .. كانت تعرض على أبى — **رئيس الجمهورية** — كما هى ، ليغرق هو فى قراءة عشرات

بل مئات الأوراق وليفحص بنفسه الصحف والمجلات .. كل ذلك بينمـا **الاتصالات التليفونية** به تكاد لا تتوقف .. **والاستفسارات** تنهال عليه .. **والذين يريدون مقابلته** هو وليس غيره ، تشغل وحدها كل الوقت ، علاوة على أن الذى يجىء للمقابلة ، تسبقه بالضرورة دراسة عنه وعن المواقف والموضوعات التى سيبحثها أو من المحتمل أن يناقشها .. **وللأسف فان هذه الدراسات التى كانت تعدها أجهزة معينة ، كانت من النوع « البايته » القديم** .. حيث كان أبى يقلب صفحاتها فى تهكم أحيانا ، وفى حسرة أحيانا أخرى ويقول وهو يضيف اليها معلومات جديدة أن لديه تفاصيل أحدث مما لدى الأجهزة .. وبيانات أدق مما عندها .. »

* * *

يتدخل حاتم صادق فى المناقشة :

« لقد كان نهما فى القراءة ، يطلع على أحدث ما أخرجته المطابع ، وكان يعتمد فى تشكيل معلوماته على الاتصالات الشخصية بالزعماء والشخصيات السياسية والفكرية .. عندما كان يلقاهم لم يكن يكتفى بموضوع المقابلة المحدد .. كان يتطرق معهم الى موضوعات شتى .. **ومن هنـا كانت معلوماته دائما طازجة** ، خصوصا فيما يتعلق بالأمة العربية ، لقد كان — بغير مبالغة — يعرف كل الشخصيات السياسية والمؤثرة فيها .. كل الاتجاهات والتيارات وقوى الضغط بأدق تفاصيلها ، مما كان يذهل اخواننا العرب عندما يلتقون به .. واظن انهم يشهدون على ذلك » .

لقد كان يعتبر الأمة العربية ، هى ساحة نضاله الرئيسية من اجل تحرير ترابها ، وتحرير الانسان فيها .

وبالفعل شهدت هذه الساحة أشرس معاركه .. اشرفها وانبلها .

* * *

وفى مرة — تقول هدى — احسست بمدى الجهد الذى يبذله بينما هو فى حاجة الى الراحة .. وعدم الارهاق .

« **قلت له** : لماذا لا يجرى تنظيم العمل على نحو ما يحدث فى البيت الأبيض مثلا ؟ ..

« فقال لى : « تقصدى نعمل مكاتب وأقسام ، تقوم باعداد الدراسات والأبحاث حول المشاكل المختلفة ، وعرض مشروعات حلول وقرارات لها ؟ لقد جربت ذلك يا هدى .. لكن فشل هذا التنظيم .. لا أحد يريد أن يعمل حتى لا يتعرض للخطأ .. كلهم يلقون على بمسئولية القرار محتملا تبعاته صوابا كان أم خطأ ! ثم لا يكون لهم من هم سوى الاستحواذ على أكبر كمية من النفوذ . وتدبير المقالب للآخرين !! » .

* * *

قلت لهدى جمال عبد الناصر :

● فى هذه النقطة ، اسمحى لى ان استوقفك ، انهم يلقون على عبد الناصر بالمسئولية يقولون أنه لم يكن يحب أن يناقشه أحد .. أو يشاركه صنع القرار ؟

قالت هدى :

« ذلك أمر غير صحيح !

« لقد كان ابى — حتى على المستوى الشخصى والعائلى — لا يصدر قرارا قبل مناقشته .. كان دائما يسأل ويستفسر ويستثير محدثه حتى يقول رأيه .. لكن كثيرين جدا كانوا لا يتناقشون أما جبنا حتى لا يتحملوا اية مسئولية ! واما لأنه ليست لديهم أفكار يطرحونها أو آراء يدلون بها .. أما الذين كانوا يناقشونه فعدد قليل منهممسئولون رسميونوغير رسميين » .

* * *

اعادنى كلام هدى عبد الناصر الى حكاية عن حافظ اسماعيل — سفير مصر الآن فى الاتحاد السوفيتى — توضح اسباب استدعائه الى القاهرة سنة ١٩٧٠ من فرنسا ، التى كان سفيرا فيها وتعيينه رئيسا للمخابرات العامة .

قبل الحكاية ، يجدر القول ان حافظ اسماعيل كان واحدا من ضباط القوات المسلحة الذين شاركوا فيها بقسط وافر .. والذين اسهموا بقدر كبير فى الاجراءات التنفيذية لعمليات كسر احتكار السلاح ، سنة ١٩٥٥ ،

وعقد صفقة الأسلحة التشيكية ، التى كانت بداية مرحلة استراتيجية جديدة وهامة فى كافة المجالات .. مصريا وعربيا ودوليا ..

المهم ، بعد هذه الصفقة تقلب فى مراكز عدة ومناصب مختلفة حتى صار سنة ١٩٦٠ وكيلا لوزارة الخارجية ثم سفيرا فى لندن سنة ١٩٦٤ وبعدها فى يناير ٦٧ سفيرا فى ايطاليا الى ١٢ يونيو ١٩٦٨ عندما عين سفيرا فى فرنسا .

على أن حافظ اسماعيل لم يدخل زى السفير ليصبح من أصحاب الياقات البيضاء ويتقوقع داخلها . انما — وخصوصا بعد حرب ٦٧ — عادت اليه شخصية « المحارب القديم » وأخذ يرسل ، من باريس ، الى جمال عبد الناصر رسائل متوالية عن المشاكل والأوضاع السياسية والعسكرية وغيرها ، التى تواجه الدولة .

كان يعرض الموضوع فى رسالته ثم يناقش أسسه وجذوره ، ويقترح ما يتصوره من حلول ..

وكان عبد الناصر يقرأ رسائله بعناية ، هى ذاتها التى يقرأ بها مئات الرسائل كل يوم .. تصله من زعماء كبار ، ومن أفراد عاديين فى الشعب !

لقد كانت ميزة عبد الناصر ، أنه يحب الناس .. يحب أن يلتقى بهم باستمرار ، وربما لهذا كانت شحنة « **العافية** » تجيئه من الجماهير عندما يقف أمامها متحدثا ، مرتجلا خطبه ، ساعات طويلة غير مبال بأخطار المرض ومضاعفاته .. الى حد أن الأطباء كانوا يصرخون وهم يرونه هكذا ضاربا بتحذيراتهم عرض الحائط .. بل ان بعضهم خصوصا فى آخر زياراته للخارج (الخرطوم ١٩٦٩ — وليبيا ١٩٧٠) كان يصاب بالارهاق من شدة الاجهاد بينما الرجل المريض ، واقف ٣ أو ٤ ساعات وسط الجماهير التى تمد أيديها لتلمسه وتحييه ، يقهر الألم .

نفس هذه « العافية » تجيئه عندما يلتقى بالناس عبر رسائلهم ، يضع أصبعه من خلال حروفها ، على نبضهم .. ماذا يريدون .. وكيف يفكرون ؟

وبين الرسائل .. كانت تجيئه رسائل حافظ اسماعيل يناقش أمورا ، تبرز قدرته على التفكير الاستراتيجى الذى يتناول الموضوعات فى شمول .. ولذلك كان عبد الناصر — المتعطش للمناقشة — سعيدا بها ..

ولقد أعطت هذه الرسائل بالتأكيد — فيما أتصور — صورة لفكر حافظ اسماعيل المتطور وأبانته بوضوح أمام جمال عبد الناصر، فامر باستدعائه والتقى به .. حيث عقد معه جلسة طويلة شمل الحوار فيها مسائل متباينة جعلت عبد الناصر يؤكد ما سبق ان فكر فيه وهو تعيين زميله الذى يعرفه من قبل (اللواء السابق دفعة ١٩٣٧) (السفير الحالى) : محمد حافظ اسماعيل وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة .

غير انه لم يكن ممكنا وقتها اصدار هذا القرار وتنفيذه لأن حافظ كان قد ترك الجيش منذ فترة ، ومن ثم فهو بعيد عن كثير من رجاله وسلاحه وعما يجري داخله .. **لذلك رأى عبد الناصر** — وكان هذا من اساليبه — **اعطاء فترة تمهيدية له** ، فعينه رئيسا للمخابرات العامة حتى يكون بحكم هذا المنصب فى قلب الأحداث — ولصيقا بالقوات المسلحة .

هكذا تولى حافظ اسماعيل رئاسة المخابرات فى ٢٦ ابريل ١٩٧٠ ..

وهكذا كانت النية مبيتة له ..

وكان ذلك كله ، لأنه كان يناقش ، وكان عبد الناصر يبحث عن الذين يناقشونه ، ويسعد بهم ، ولو كان المجال يتسع لكنا قد أوردنا أمثلة لكثيرين أسند اليهم القائد الخالد مراكز قيادية لأنه كان لديهم ما يقولونه ولأنهم كانوا يتناقشون .. وربما تذكرنا ما قاله أخيرا الدكتور عبد الوهاب البرلسى الذى كان وزيرا للتعليم العالى سنة ٦٨ ، وكيف طلبه عبد الناصر تليفونيا قائلا له ان لا وساطة بينه وبين أحد .. وكان بعدها يلتقى به ويناقشه ، وقال البرلسى ان عبد الناصر كان يطلب من الوزراء المناقشة وابداء الرأى فى كل شىء .

وبديهى ان المناقشة هنا مشروطة بان تكون داخل اطار النظام الثوري .. اى مؤمنة بثورة ٢٣ يوليو وباهدافها .. اى أن يكون الشخص طرفا فى الحوار ، وليس خارجا عنه .. **اى معتنقا الثورية التى تخدم الجماهير ..**

وفى هذه النقطة بالذات ، كان عبد الناصر يقول فى اجتماعات مجلس الوزراء — خصوصا بعد معارك ٦٧ — ما معناه ان ما حدث قد حدث ،

ومن الممكن ان يقول قائل ان عبد الحكيم عامر هو المسئول .. ومن الممكن ان يقول آخر ان غيره هو المسئول ، لكن الناس — ومعها العذر — والشعوب الأخرى — ومعها حق — ترى ان الشرخ قد حدث فى ثورة يوليو .. وان مبادئها قد انهارت وهذا .. « يفرض علينا مزيدا من العمل ، استعدادا للمعركة .. وحلا لمشاكل الجماهير .. اننى لا أريد ان أصادر بآراء مسبقة .. وانما يجب ان نتناقش وان يطرح كل منا آراءه وأفكاره .. »

* * *

تقفز الى الذهن هنا ، مناقشات حادة وعنيفة جرت مع عبد الناصر منها — مثلا — المناقشة الرائعة التى جرت على الهواء عبر الاذاعة والتليفزيون خلال جلسات المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية .

.. يومها قال جمال عبد الناصر ، انه مستعد فى حالة حدوث انحرافات تهدد الثورة او وقوع عملية مضادة الى « لبس الكاكى » والنزول الى الشارع للمقاومة فى صف الجماهير .. لقد قال هذا تعبيرا عن نفسية الثائر للتصدي للقوي الرجعية او التآمرية ولم يقلها فى مواجهة الكاتب محمد خالد كما ذكر استاذنا الدكتور لويس عوض فى الاهرام (١٩٧٥/٨/٢٢) واغلب الظن ان الذاكرة قد خانت الدكتور عوض عندما ذكر ان عبد الناصر قال لخالد « البس لك الكاكى » . « مما يوحى ان لبس الكاكى سيكون لخالد أو المثقفين ، وانما الصحيح ان « لبس الكاكى » لقوى الثورة المضادة اذا تحركت .. (وهذا المعنى ذاته كرره عبد الناصر فى خطابه يوم ٢٧ يوليو ١٩٦٧ عقب النكسة مباشرة) .

ويؤيد كلامنا هذا محاضر هذه الجلسات التى شارك فيها الرئيس السادات وتسجيلاتها فى الاذاعة والتليفزيون .. كما يؤيده فكرة المقاومة السرية التى كانت ستنفذ ابان العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ .. وخطب عبد الناصر التى حذر فيها من الحزب الرجعى ، الذى وصفه فى خطاب بمجلس الأمة (١٩٦٥/٥/١٦) بانه موجود ومنظم وأحسن من الاتحاد الاشتراكى !

* * *

وعلى ذكر الإتحاد الاشتراكى ، استرجع مناقشات عبد الناصر فى امانته العامة ، بل وفى مجلس الوزراء ، حيث كان يقول دائما :

« من الممكن ان نختلف هنا فى الآراء الى أى مدى ، ونحن نريد أن يتكلم كل شخص ، وان يبدى رأيه ، ولكن هذا الكلام يجب الا يخرج من هنا أبدا .. لأنه اذا خرج من هنا كان معنى ذلك الفشل ! »

اى ان عبد الناصر كان يطلب من القياديين والذين عملوا معه أن يتكلموا ويتناقشوا الى أبعد مدى ، لكن داخل نطاق الاجتماعات بهدف الوصول الى الحقيقة ، اما اذا ــ خرجت هذه المناقشات فانها تجعل الكلام نوعا من المزايدة ، يريد به كل شخص ان يكسب لمصلحته لا لحساب الدولة والأمـــة .

ويقول عبد النـاصر محددا اخلاقيات المناقشة ، ان :

« ما نقاسيه اليوم أيضا هدم الناس بعضها البعض ، وبالذات المسئولين فى جميع القطاعات .. أنا أعتقد ان هذا هو أساس الكلام الذى يدور فى البلد اليوم (كان ذلك عـــام ١٩٦٥) بصرف النظر عن نواحى النقص الموجـودة ..

« كل شخص يقول انه يعمل ويسير سيرا حسنا جدا ، وانه قال للمسئولين .. ولكن لم يستمع اليه أحد . اننا نريد أن نضرب المثل بأن نضع أسس وتقاليد نســير عليها ويســير عليها الاتحاد الاشـــتراكى بجميع مستوياته ..

« اننا مستعدون لأن نسمع هنا (الأمانة العامة) اى كلام من اى شخص وبكل صراحة ، وفى رايى ان كل واحد هنا لن يكون مختصا بعمله فقط بل سيكون مختصا ومسئولا عن جميع الأعمال فى البلد » .

اى ان عبد النـــاصر ، الى جانب الحاجه فى ان يتكلم كل واحد وان يدلى بما عنده يحمل كل من القياديين لا مسئولية اختصاصه أو القطاع الذى يعمل فيه فحسب .. وانما مسئولية الدولة كلها .. يحملهم هذه المسئولية مع الالتزام بعدم تبادل الطعنات والمطاعن ، حتى لا تفسد الدولة ، وتتوه الحقيقة ..

ثم يقول عبد النـــاصر فى شــجاعة :

« الحقيقة اننا فعلا نطبق الاشتراكية بدون اشتراكيين ، علمـــا بان الرجعية موجودة ومنظمة .. اما الاشتراكيون فهم غير موجودين ..

« والحقيقة برضه ان سياسة [ابعاد] الناس ، تضر ضررا كبيرا ، ان مسئوليتنا هى ان نجمع كل الناس من كل القطاعات .

« اننى لا أريد ان تكون الصحف كلها نسخة واحــدة ، وانما لابد ان تنشر الصحف الآراء المختلفة حتى يشعر الناس بانه يمكن لكل شخص ان يبدى رأيه ..

« ثم .. هل ثقفنا الناس ؟ أين الاشتراكيون ؟ هل ثقفنا الناس بغير الخطب ؟ اننى أعتبر ان الخطب ليست هى الأساس ! » .

و .. هكذا .. وغيره كثير مما جاء فى خطب وتصريحات ومناقشات عبد الناصر ، يظهر معدن الرجل وتتضح بوضوح معالم فكره التى يحاول البعض طمسها الآن الى حد سخيف ومبتذل وداعر !

* * *

وفى آخر لقاء له مع الجماهير ، فى الجلســة الختامية للمؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى (فى ٢٦ يوليو ١٩٧٠) وبعد أربعة أيام من العمل والجلسات المغلقة والمفتوحة حضرها جميعا بمشاركة الجماهير فى العمل والنقاش والأسئلة مهما كانت .. قال عبد الناصر فيما يشبه الوصية :

« ان النصر عمل ، والعمل حركة والحركة فكر ، والفكر فهم وايمان . وهكذا ترون ان كل شىء يبدأ بالانســـان » ..

ثم استعرض فى ايجاز تجربة مصر الثورة ومواقفها المبدئية ، وقال :

« ان الشعب المصرى تحت اعلام هذه الثورة رفض السلامة عن طريق الانعزال ، ورفض الأنانية برفض كل مغرياتها الوقتية ، لقد جعل قضية امته .. قضيته .. وعاش النضال من اجلها بحياته ، وكان فى ذلك يصدر عن وعى بمسار التاريخ ، لم يساوره فيه شك أو تردد ، اثبت ابناء هذا الشعب دائما أنهم الأمناء .. بالكلمة .. والأمناء بالفعل ..

« لم تكن الحرية والاشتراكية والوحدة بالنسبة له كلمات ، وانما كانت الحرية والاشتراكية والوحدة بالنسبة له اعمالا ، بل كانت كلها بالنسبة له قتالا ..

« وليس هناك علم شريف يرفرف على الأرض العربية الا وكانت يد الشعب المصرى أول الأيدى التى أمتدت لتساعد على اقامته .. »

ثم قال عبد الناصر .. وكأنه كان يتنبأ :

« وليست تعنينا فى ذلك شهادة اى فرد ، وانما تعنينا فى ذلك شهادة التاريخ مبرأة من العقد ، ومن الأهواء ، ومن التحزب .. ومن النسيان ! »

❋ ❋ ❋

قالت لى هدى — الابنة البكرية للقائد الخالد :

« كان أبى يحب المناقشـــة ..

« أذكر مرة عندما دخلت مكتبه وكان يتحدث فى التليفون .. انتظرت فترة ثم حاولت الانصراف فأشـــار لى أن أجلس .. **وهكذا ظللت ثلاث ساعات كاملة ارقب صبره الغريب وهو يحاور نائب رئيس جمهـورية محاولا اثناءه عن الاستقالة ..**

« كان هذا النائب السابق مصرا على الاستقالة لأنه من وجهة نظره لا يرى فائدة فى اعادة البناء والاستعداد للمعركة ..

وكان أبى يحاول اقناعه بالعكس وبأن الشعب المصرى قادر .. وكان يقول له : يا .. انت أصلك مش فاهم الناس .. أنا عارف كويس الشعب وعارف امكانياته وقدراته .. »

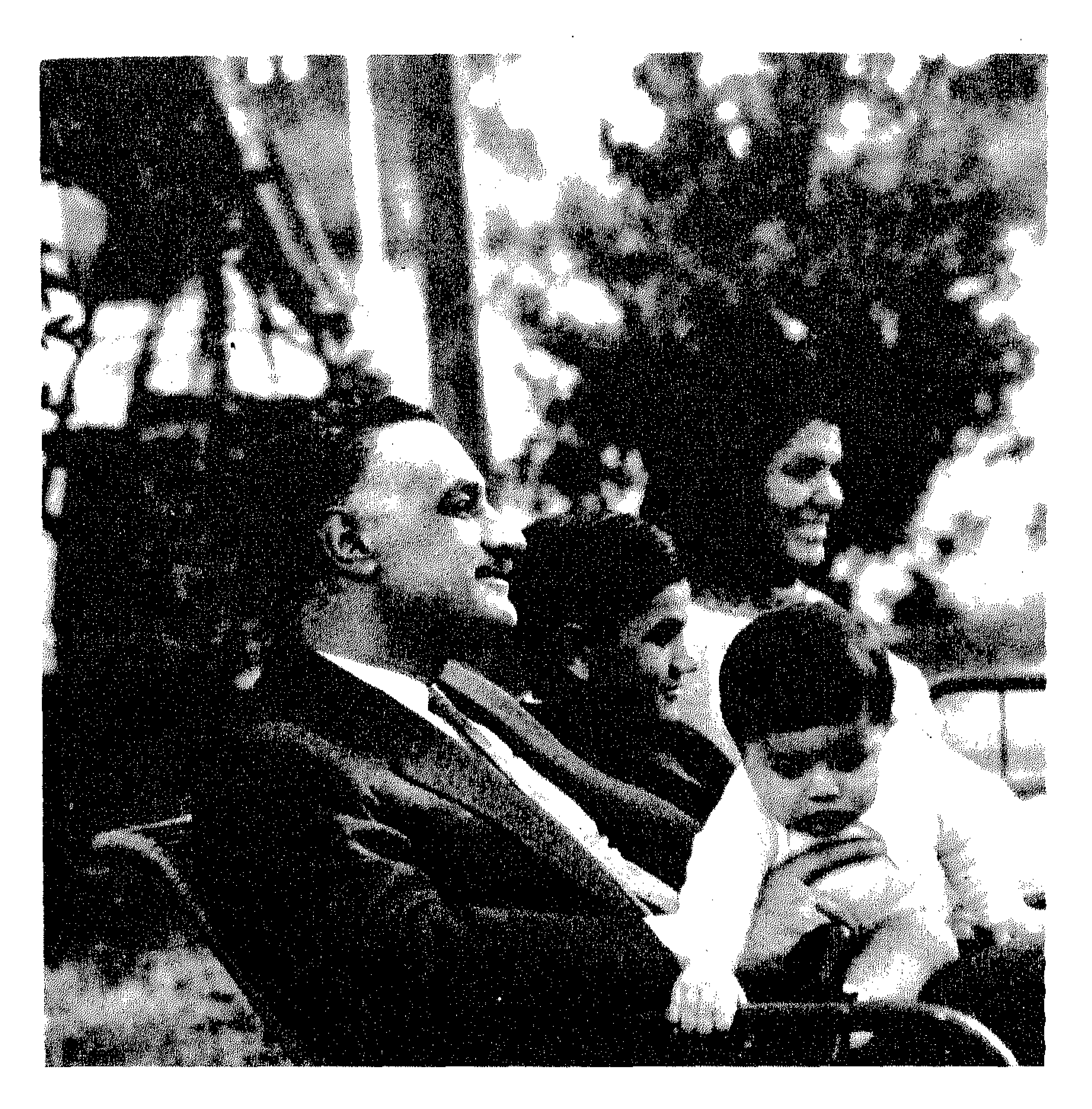
« وفشلت المحاولة ..

« ولم ير أبى أنه قد أضاع ثلاثة ساعات .. كان يعتبر أن هذا عمله .. وكان مستعدا لمزيد من النقاش .. لساعات أخرى .

❋ ❋ ❋

صمتت هدى لحظات ، **راحت فى تفكير عميق حزين** ، ثم قالت :

« ألم أقل لك ، أنى عرفت لماذا داهمته .. كل هذه الحفنة من الأمراض القـــاتلة !! »



● عبد الناصر والسيدة الجليلة قرينته وبينهما الابن عبد الحكيم عندما كان صغيرا ، اذ ان الصورة عمرها ٨ سنوات ولهذا تبدو « هـالة » الحفيدة التي يحملها صغيرة .. أما المكان فهو نفسه .. حديقة المنزل في منشية البكرى .. ذات « الكنبة » التي يحلو له الجلوس عليهـا قبل أن تداهمه الاحـداث . ! ●

- « أبى كان يحب الذين يناقشونه ومنهم خالى مصطفى الذى اممت الثورة ٢٤ الف جنيه له ! »
- « مسـئول كبير قال لابى : الفلاح طول عمره بجلابية واحـدة .. له نعطيه اثنين ؟ »
- عبد الناصر قال فى آخر لقاء له مع الجماهير : لا تخشوا خط بارليف مهما حصنوه !
- الشيوعيون كاذبون فى ادعاء اى فضل على تنظيـم الضباط الأحرار والثــورة !

— ٤ —

كان جمال عبد الناصر يثق ألى ما غير حد بالانسان المصرى .. ربما جاءته هذه الثقة من احساسه الشديد بالانتماء الى مصر ، منحدرا من صلب صعيدى قح ، وعندما تفتحت عيناه عاش الحارة المصرية بكل رائحتهـا الشعبية ثم نما مع أحداث الشـارع المصرى فى الثلاثينات حيث مقـاومة السلطة مما أدى الى اشتراكه فى مظاهرات الطلبة واتصاله بعـدد من التنظيمات السياسية فيما بعد بينها « الوفد » و « مصر الفتاة » و « الاخوان المسلمين » و « الحزب الشيوعى » .. لقد مر بها جميعا لكنه لم يترك نفسه لأحداها .. ومن ثم فلقد كان — على حد ما يقول المؤرخون والمحللون : محصلة اتجاهات وعلاقات عديدة ، وجدت قبل الثورة ، وربما من هذا فلقد ابتكر عبد الناصر — كما قال السادات — صيغة تحالف قوى الشعب ابتكارا .

وهى الصيغة التى تعد العمود الفقرى لمصر الآن كما يؤكد السادات ذلك (١٩٧٥/١٠/١٨) فى خطابه بمجلس الشعب . اى ان صلاحيتها مستمرة مع انتقال مصر من الشرعية الثورية الى الشرعية الدستورية .

وبرغم ان جمال عبد الناصر يهاجم الان من قوى الأحزاب أو فلولها التى تريد الانتعاش فاننا نسمع كل يوم ونقرأ عن تسابق كل منها فى ادعاء وجود صلة ما بين حزبها وبين عبد الناصر والضباط الأحرار قبل الثورة . « الوفد » يقول هذا .. و « مصر الفتاة » تنشر له صورة أيام الصبا بالقميص الأخضر .. و « الاخوان » يدعون أنهم شاركوه فى الاعداد للثورة .. والماركسيون — تحت رداء تسمية اليسار — يذهبون الى حد أن « حدتو » الشيوعية (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى) كان لها فضل تفجير للثورة واعداد مبادئها الستة !!

والحقيقة أن ذلك كله مكذوب !

لأن قيمة عبد الناصر تكمن فى صدق تعبيره عن كل الجماهير .. وقوته — كما يشرح خالد محيى الدين — لا ترجع الى السلطة وحدها ، انما تنبع من جماهيريته ... فهناك عديد من الحكام كانت لهم سلطات مثل عبد الناصر، ولكن ميزته هو كانت فى أن له شخصية تاريخية التقت بجماهير تحبه وتعبده .. فكان اى اجراء يقوم به معارضوه يعزلهم عن الجماهير .. هذه قوة عبد الناصر وليست السـلطة ؟

ويقول حسين ذو الفقار صبرى :

« هو ، ما فى ذلك من شك ، رجل تجمعت فى كيانه مقومات الزعامة جميعا ، فشخصيته مهيبة ، شديدة الاعتزاز ، تتميز بجراة وتصميم ، منبثقة عن سعة صبر واستيثاق » .

* * *

قالت لى هدى عبد الناصر ، دون أن أتحدث معها او أشير الى السطور السابقة ... الى قائليها أو معناها :

« كان أبى صاحب شخصية قوية .. وهناك بالطبع خيط رفيع بين الحاكم قوى الشخصية ، وبين الطاغية .. »

ويلتقط حاتم صادق طرف الخيط ليقول :

« قبل ان ألتقى به كانت نظرتى اليه تنطوى على رهبة ، لكنى عندما لقيته لأول مرة سنة ١٩٦٤ فوجئت به غاية فى الرقة .. انسان بكل ما تشعه هذه الكلمة من معان نبيلة » .

وعادت هـدى تقـول :

« كانت رقته هذه ، التى تختلف تمـاما لكنها لا تتناقض مع مواقفـه السياسية الحادة ، تصبغ علاقاته بالآخرين .. سواء بأسرته أو رجال الدولة .. اننى لم اسمعه مرة ، حتى فى أكثر المواقف تعقيدا وحدة يسب احد ، أو يضرب .. كانت نظرة من عينيه تكفى » ..

* * *

منذ سنوات طويلة .. عندما كان **فتحى رضوان** وزيرا للارشاد القومى ، فوجىء (بالمرحوم) **محمد فهمى السيد** وقد سحب بصفته مستشارا قانونيا للرئاسة ، مشروعا من اللجنة التشريعية لمجلس الأمة كان هو قد أرسله اليها ، ومن ثم فلقد استشاط فتحى رضوان غضبا .. وذهب الى جمـال عبد الناصر يشكو .. واستمع اليه الرئيس ثم قال ــ كما يروى حلمى سلام:

« خلاص يا اخ فتحى انا أمرت بارجاع المشروع مرة اخرى الى اللجنة »

لكن فتحى رضوان سأل ولكن ماذا فعل الرئيس مع فهمى السيد ، فأجابه عبد الناصر بهـدوء ..

« يا اخ فتحى عايزنى اعمل ايه ؟ انا مش زى جمال سالم .. انا عارف ان نظرة منى انظرها الى معاونى ، تفعل بهم ما لا يفعله السب .. وما لا يفعله الضرب بالشلاليت » !

* * *

كان عبد النـاصر اذن .. انسـانا مصريا رقيقا .. مؤمنـا بمصريته وبالمصريين ، على ان ذلك لم يجعله اقليميا انفصاليا ، بل العكس فلقـد تأصلت فيه أبعاد الشخصية المصرية الحقيقية بكل ما لعبته من دور قومى عبر آلاف السنين .. منذ أن تحملت مسئوليتها فى الدفاع عن المنطقة وتحريرها من الهكسـوس .. ثم من المغـول .. وهكذا حتى جاءت الصـهيونية باستراتيجيتها التوسعية .. كان مؤمنا ومدركا لهذه المسئولية التاريخية وبأن الدفاع عن مصر ، وخير مصر ، مرتبط بقوميتها ..

* * *

وربما أتذكر هنا الصحفى الانجليزى « بيتر مانسفلد » الذى كان مراسلا لصحيفة « صنداى تايمز » اللندنية فى الشرق الأوسط خلال الستينات .. لقد أصدر « بيتر » كتابا عن « مصر عبد الناصر » سنة ١٩٦٥ ، ثم عاد وأصدر طبعة جديدة منهسنة ١٩٦٩ ضمنها أحداث حرب أو مأساة — كما سماها — يونيو ٦٧ مما جعل كتابه غير مرحب فى القاهرة .. ورغم ذلك ! .. ورغم أن « بيتر » انجليزى ! ورغم أن مصريين — !!! — يهاجمون عبد الناصر ! إلا أنه كتب ما يلى :

« فى الطبعة الثانية من كتابى قلت انه مع اعتقادى بأن عبد الناصر يتحمل جزءا من المسئولية الا اننى لم أغير تقديرى الأساسى لدوره أو منجزاته ..

« والسؤال الآن — يستطرد بيتر — ما هو ما يمكن أن يضيفه المرء أو يحذفه من هذا الحكم اليوم بعد هذه السنوات من وفاة عبد الناصر ؟ والأحداث الهائلة التى تلت الوفاة وغيرت صورة الشرق الأوسط ؟

« أن أول ما يقال هو أنه لا توجد حاجة الى تقييم جديد لحجم مكانة عبد الناصر واثره على المصريين والعرب ككل والعالم الثالث ، بل والغرب.

« لكنه — أى عبد الناصر — كان بالنسبة للمواطنين فى مصر الذين قاسوا لقرون عديدة ، من اللامبالاة الاحتكارية لهم من جانب الحكام الأجانب ، ومن جانب الأرستقراطية المالكة للارض والتى كانت أجنبية فى نظرتها الى الأمور ، وفى مصالحها وأحيانا فى أصولها .

« كان هو الرجل الذى زودهم بالتجربة المثيرة فى اعلام العالم ان مثل هذا الوضع لم يعد مقبولا .. وان المصريين سيصبحون — من الآن — سادة انفسهم ، وأنهم يرفضون احناء رءوسهم خضوعا لأحد . .

« ولازلت اعتقد ان عبد الناصر كان بالمعنى السياسى ، هو أول زعيم مصرى مكن بلاده من ان تقف مرفوعة الرأس بفاعلية ضد سيطرة الغرب .

« وفى الكثير من القضايا المهمة عبر عبد الناصر عن مشاعر الأغلبية الواسعة للشعب العربى ، وأعتقد أنه رفض ، مثلا ، حلف بغداد ، ومبدأ

أيزنهاور ، تعبيرا عن رفض الشعب العربى أن يصرف أحـــد انتباهه عن عدوه الحقيقى » .

* * *

قالت لى هدى عبد النـــاصر :

« **كان الانسان هو سلاح أبى فى معاركه .. وهو فى ذات الوقت هدفها !**

« **كان يريد استنفار همة هذا الانسان ، حتى يشعر بقيمته .. وحتى** يتحرك لنيل مكاسبه والمحافظة عليها ..

« **أن التحولات الاجتماعية التى جرت :** لم تكن تستهدف تصفية طبقة معينة ، لكنها استهدفت تصفية امتيازات هذه الطبقة لتحرير الانسان من سيف الاستغلال وتحكمه ..

« **كان أبى يكرر هذا دائما** ، واذكر مناقشات كثيرة معه بهذا الشأن ، خصوصا عندما كان خالى « **مصطفى كاظم** » يحضر لزيارتنا ويحاور أبى ..

« **ان خالى مصطفى ، تاجر لحقته قرارات يوليو ٦١ الاشتراكية عندما صادرت منه أوراقا مالية قيمتها ٣٤ الف جنيه ! .**

« وكان طبيعيا ــ لهذا السبب ــ أن يكون ناقدا للقرارات الاشتراكية ، وان يناقش أبى فيها .. ولقد كان الحوار بينهما ممتعا الى أقصى درجة .. وخلاله كان أبى يركز على أنه لا يضمر اى عداء لاى أحد .. انه فقط يريد مصلحة الجماهير الواسعة .. **يريد مصلحة الفقراء** ، العامل الذى تعرق يداه ويقطف الآخرون ثمار عمله ! والفلاح المصرى الذى عانى من طول حرمان وقهر وهو صامت .. صابر .. حزين فى جلبابه الأزرق وأمامه « صحن المش » و « فحل البصل » ومياه الترعة !

« **والغريب أن كثيرين كانوا يجادلون أبى ، وأذكر واحدا من كبار المسئولين ــ وقتها ــ كان يقول لأبى أن :** « الفلاح طول عمره بجلابية .. ليه نعطيه اثنين ونرهق اقتصادنا ؟ ! » **طبعا ــ تعلق هدى ــ هذه نظرة غريبة ! »** .

* * *

هنا ايضا أتذكر حوارا أجرته مجلة روز اليوسف المصرية (بتاريخ ٤ اغسطس ١٩٧٥) مع **كمال الدين حسين** ، بناء على طلبه ، وفى الحديث يروى قصة خلافه مع جمال عبد الناصر ويسهب فى كيف أنه اعترض على الاشتراكية كما طبقها القائد الخالد ، ويقول ان عبد الناصر كان يردد دائما : انت اصلاحى ! ويدافع كمال الدين حسين — **وهو بالمناسبة ليس الشخص الذى قصدته هُدى فى السطور السابقة** — فيقول ان عبد الناصر كان يريد اشتراكية علمية (أى شيوعية) ... فهل هذا صحيح ؟ !!

* * *

فى مقابلة صحفية أجراها س.ل . سولز برجر رئيس تحرير النيويورك تايمز يوم ٢٦ فبراير ١٩٦٩ ، ونشرت يوم ٢ مارس .. دار هذا الحوار مع جمال عبد الناصر :

● س : هل يمكن وضع تحديد لذلك بانكم الآن احدى الاشتراكيات الشعبية ؟

●● ناصر : اننا لا نصف انفسنا « بالاشتراكية الشعبية » وانما نقول اننا فى « مجتمع اشتراكى » . والناس يخططون لحياتهم على اساس الاشتراكية والديمقراطية وفقا للميثاق تعنى حرية المجتمع وحرية الفرد ، ولكنها تنهى استغلال الفرد .. لقد كان ذلك هو أساس عملية التحول الاجتماعى منذ سنة ١٩٦١ » .

* * *

وفى ٢٠ يونيو ١٩٧٠ ، فى حديث أجراه « سوفرونوفه » رئيس تحرير مجلة « أوجانيوك » السوفيتية ، نشر فى اليوم التالى بعنوان « سنكافح حتى النصر » .. قال جمال عبد الناصر :

« ان هدف هذه الثورة — ٢٣ يوليو ١٩٥٢ — ليس فقط تحرير البلاد ، ولكن تحرير المواطن المصرى » .

* * *

كان عبد الناصر مؤمنا حتى النخاع بهذا المواطن المصرى وامكاناته ، وفى آخر لقاء له مع الجماهير فى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى ، وفى جلسة يوم ٢٤ يوليو ١٩٧٠ على وجه التحديد — خلال المناقشة الصريحة التى قام بها ممثلوا الشعب ، وعارض بعضهم قبول مبادرة روجرز .. وشكك البعض الآخر فيها ، أى أنهم تكلموا وتناقشوا بصراحة ينساها الحاقدون اليوم ! .. فى هذه الجلسة — كمثال — وجه العضو محمود محمود سليمان سؤالا يقول :

● نخشى أن تقوم اسرائيل فى فترة وقف اطلاق النار باعادة بناء تحصيناتها العسكرية التى تم تدميرها (خلال حرب الاستنزاف) فى سيناء وخاصة خط بارليف ؟ ! .

ورد عبد الناصر ، مطمئنا ، واثقا من قدرات الانسان .. وكأنه يتنبأ :

« أنتم خائفين خالص من خط بارليف .. كل واحد خايف انهم يبنوا خط بارليف .. أنا رايى انهم لو بنوا خط بارليف ، يمكن بتكون لنا فرصة عشان نوقع بهم خسائر أكثر » .

* * *

من أجل هذا الايمان بالانسان ، فانه وسط العملية المضنية للبناء العسكرى ، ومع كل مشاق التطورات السياسية وحساسيتها ، وبرغم بداية حرب الاستنزاف سنة ١٩٦٩ ، فان عبد الناصر لم ينسى الثورة الاجتماعية ، ذلك أن نظرته ــ وهذا من أسرار عظمته ــ **كانت أكثر شمولية وأكثر احساسا بالواقع .. لذلك أصدر قرار تحديد الملكية الذى لا يسمح بتملك أكثر من ٥٠ فدانا فقط .**

كان هذا القرار فى حقيقته لصالح الألوف من المقاتلين الذين كانوا على خط النار .. لحساب عائلاتهم .. وحتى يشعر الناس بأن المعركة .. معركتهم .. وأن الثمار فى النهاية ستأتى اليهم ! . وأن الثورة لم تنته ولاتزال تسعى الى وجود علاقات انتاجية واجتماعية متغيرة بهدف تحرير الفرد من أى سيطرة .. ليرفع رأسه بغير انحناء الى الأبد .

* * *

تصف هدى عبد الناصر مشهدا واقعيا بالغ التأثير من مشاهد الحياة الجديدة على أرض مصر الثورة..وترسم الصورة بكلماتها الخضراء فتقول :

« منذ أيام كنت مع حاتم فى زيارة لقريته بالمنوفية :

« هناك وجدت تأثير الثورة واضحا فى جيلين متتاليين .. فى الرجل وابنه . الرجل المتقدم فى السن ، الذى تربى فى المناخ السياسى والاجتماعى

والاقتصادى ، لمـــا قبل ثورة ١٩٥٢ ـــ قابلنا باحترام شديد ، وترحاب جعل لسانه يتلعثم وهو ينادينا ((يا ست هانم)) و ((يا سعادة البيه)) .. وما الى ذلك من ألفاظ التفخيم والتبجيل ، وعندما كنت أحاول منعه من الاسترسال وافهامه أن هذا خطأ .. وانه لم يعد هناك ـــ منذ زمن ـــ لاسادة ولا عبيد .. كان يطاطىء الرأس والكلمات ـــ تتلوى على شفتيه : ((ازاى بقى يا ست هانم .. هو معدش فيه أصول ؟ !)) .

* * *

((عم فلان هذا الذى أحكى عنه .. له ثلاثة أبناء يعملان فى الزراعة والثالث مجند فى القوات المسلحة ، والثلاثة ما شاء الله عليهم .. ان كلا منهم كان ينادينا بالألقاب العـــادية ((أستاذ)) أو ((مدام)) .. ويصافحنا وهو مرفوع الرأس ، ويناقشنا مناقشة الند .. اذا فعل شيء فبأخلاص واذا لم يفعله فبجرأة الشجاعة يقول السبب .. ان هؤلاء هم بالفعل جيل الثورة التى أعادت اليهم كرامتهم المسلوبة عبر آلاف السنين ، واستردت لهم عزة النفس وروح الكبرياء .. أما الأب فـــأنه بالرغـــم من الانحناء والتبجيل والتعظيم .. يلتوى فى عمله .. بل أنه استغل طيبة حاتم وانخداعه بتصديقه فكان أن كبده خسارة مالية !! .

* * *

((**طبعا** ـــ تضيف هدى مؤكدة ـــ **ان هذا لا يعنى تقسيم الجماهير حسب سنوات العمر** ، فنقول هذا انتاج الثورة وذاك ليس منها ! **بل انه يعنى بالدرجة الأولى ان عم فلان هذا مثله مثل غيره من ضحايا المجتمع السابق** ـــ مجتمع ما قبل يوليو ـــ **حيث انعدمت الثقة بين لابس الجلباب ولابس البدلة !** بين فئات الشعب المختلفة ! **بين الجماهير والحكومة .. الآن .. الوضـــع مختلف واعظم ما فعلته الثورة فى رايى هو تغيير الانسان .. أو اعادة بنيته الى اصلها العريق !))** .

- **هدى** : «كانت المعركة هي شغله الشاغل بأدق تفصيلاتها واستعداداتها»
- **« عندما انتهت تغطية العمق المصرى بالصواريخ قال ابى : اليوم فقط استطيع أن أستريح » .**
- فى جلسة لمجلس الوزراء
قال الرئيس لسامى وشعراوى وفايق :
« ساستبيح دماءكم للشعب ! » .

ـ ٥ ـ

كان عبد الناصر اذن بلا حياة شخصية .. بلا متع خاصة ، اللهم الا اذا اعتبرنا مشاهدة الأفلام السينمائية ، فى منزله وحيدا .. متعة ! والا اذا اعتبرنا المشى ، المحسوب بالدقيقة والمتر .. متعة ! والا اذا اعتبرنا لعب « الشطرنج » ـ أحيانا ـ مع أولاده .. متعة ! والا اذا اعتبرنا حرمانه من الطعام وتحديد نوعيات خاصة بلا سمن ولا طهى .. متعة !

أعتقد أن لا أحد يعتبر هذه « الفروض الاجبارية » متعة .. لكنه هو كان يعتبر بعضها ترفا !!

عندما أصيب بالسكر ، وتفاقمت حالته ، منع عنه الأطباء كل أنواع الطعام المصرى اللذيذ الذى يحبه !! وقرروا له نوعا من المكرونة خال من اى دسم .. ونوعا من « المربى » معدومة الحلاوة والسكر .. بلا طعم أو مذاق !

وكان طبيعيا أن يجىء هذان الصنفان من الخارج ، علاوة على « الجبنة البيضاء » والخبز الجاف .. وكان كل طعامه فى أى وقت لا يخرج عن هذا .. ولم يكن الرجل يتأفف أو يطلب أنواعا اخرى .. ذلك أن متع الحياة الدنيا ـ ومنها الطعام والشراب ـ كانت بالنسبة له .. بغير قيمة !

لكن حدث ـــخلال هذه الأثناء ـــ وهنا مواقف القدر التى لا يستطيع احد تفسيرها ـــ ان أصيب السفرجى الخاص به « **عم محمد** » **بنفس مرض** السكر ! .

وربما يبدو ذلك ، بعد موجة من الاندهاش ، أمر عادى ... لكن أسرة عبد الناصر تتذكر انه عندما كان يأكل هذه المكرونة التى تشبه فى مذاقها الجير المطبوخ وهذه المربى معدومة الطعم ، كان يقول فى الم :

● **« اذا كان فى استطاعتى أن أستورد هذا من الخارج لمرضى ، فهل فى استطاعة واحد مثل محمد ـــ يعانى نفس المرض ـــ أن يفعل مثلى ! » .**

تذكر الأسرة كلماته هذه .. اذ كان يرددها دائمـــا ـــ وهم جميعا جالسون على مائدة الغداء المقدس حيث يلتئم شمل الأسرة كلها !

كان ميعاده فى نحو الثالثة ظهرا .. ويحضره كل افراد الأسرة بما فيهم هدى وزوجها .. ومنى وزوجها . لم يكن أحد يتخلف عن الغداء ابدا . وبسبب هذا الحرص فان عبد الناصر ـــ الأب والراعى ـــ كان اذا تصادف وفرغ من عمله مبكرا .. أو اذا تصادف وتأخر أحد اعضاء الأسرة لأمر ما ، فانه كان ينتظر ..

لم تكن المـــائدة تبدأ الا عند تمام وصول الجميع !

وخلال الطعام كان الحديث يجرى « عائليا » .. اذ أن الرجل كان يتصرف كاب صعيدى .. يحب أن يلتقى افراد الأسرة كلهم لتبـــادل الآراء ولبحث أمورهم الخاصـــة .. ولم يـــكن يدخـــل « السياسة » مادة فى الحوار ..

« **كان يعتبر ان السياسة عمل** ، وان عمل الرجل .. وان كانت الأسرة تعرف طبيعته وملامحه ، الا أن ذلك لا يعنى بالضرورة الوقوف على تفاصيله او التدخل فيه » » .

غير أن الموقف السياسى ـــ والعسكرى بالتحديد ـــ كثيرا ما انعكس على وجهه !

وكانت الأسرة تعرف كيف تتعامل مع هذه الحالة !

كان الكلام معه ، اذا ما شاهدوا بعض مظاهر القلق والتفكير .. يدور بحساب ، ودون القاء مزيد من المشاكل أو مضاعفة القلق !

فى مرة مثلا .. كان شديد التوتر .. وحبست الأسرة أعصابها .. وخافت عليه من هذه الحالة ــ وهو مريض ــ وازداد خوفهم وهو يكاد لا يأكل شيئا !

وفجأة جاء من يخبره بأن هناك مكالمة تليفونية .. فنهض ملهوفا !

وتبادل أفراد الأسرة النظر ، وخشوا من مضاعفة الحالة ..

قالت لى هدى :

« كنا نحرص على ابعاد المشاكل عنه ..

« لكنه هو كان فى قلب المشكلة !

« أضاف حاتم صادق :

« عندما كان الأطباء يتوسلون اليه أن يستريح ، كان يقول لهم :

« ارجوكم .. يجب أن تشطبوا من تعليماتكم مسألة خفض ساعات العمل ، والراحة والبعد عن المشاكل .. وفيما عدا هذا اطلبوا ما شئتم .. امنعوا عنى أى شىء » .

و .. و ..

وكان أفراد الأسرة مثبتين فى أماكنهم على مائدة الغذاء فى خوف كأنهم شخوص **لوحة عنوانها الفزع !** عندما عاد هو متهلل الأسارير ، فرحا ، منشرحا .. وجلس وهو يردد « الحمد لله » .

فى هذه المرة سمح الرجل لنفسه أن يتحدث عن عمله ، **قال لهم ضاحكا ،** كأن سعادة الدنيا كلها بين يديه ، ان بعض الطائرات كانت فى مهمة فوق مواقع العدو ، وقد عادت جميعها فيما عدا طائرة .. والأهم من ذلك أن طيارها كان مفقودا !

لهذا .. كان توتره وقلقه ..

ثم جاءه التليفون ببشرى انهم عثروا على الطيار سالما ...

ــ هو مين الطيار ده يا بابا ..

● اى حد .. مش مهم الاسم .. كل واحد فى الطيارين ، وفى الجيش كله ، زى ابنى تمام .. زى خالد او عبد الحميد أو حكيم .

* * *

فى ٩ مايو ١٩٧٠ استقبل جمال عبد الناصر فى صالون منزله بمنشية البكرى « تشالز فولتز »المحرر السياسى فى مجلة « يو . اس . نيوزآند ورلد ريبورت » حيث جرى حديث صحفى نشرته المجلة فى عددها الصادر يوم ١٨ مايو ١٩٧٠ ، وكان السؤال الأخير واجابته فى المجلة كما يلى :

السؤال : ما هو فى رايك سبب « التشوه » الرئيسى فى وجهة النظر الأمريكية نحو العرب ؟

الرئيس : « ان الزعماء الاسرائيليين يصورونننا دائما فى صورة من يريد الحرب .. وهذا غير صحيح .. فنحن لا نريد السلام فحسب وانما نحن الذين قبلنا قرارات الأمم المتحدة بشأن الســلام . وهم انفسهم الذين رفضوها . ولتفهم هذا : ان ناصر يريد السلام .. أننى اريد السلام ، ولا اريد الحرب نفسها أننى لست غازيا عسكريا متعطشا للدماء .

« **وأنا بعيد عن الخدمة العسكرية منذ ١٨ عاما** ، وقد تعلمت قبل ذلك أن اكره الحرب كأى انســان آخر ، لقــد رأيت ما يكفى من الحرب فى سنة ١٩٤٨ ، لقد دفنت رفاقا من المصريين فى الميدان . ودفنت اسرائيليين ايضــا . انى لا أحب الحرب بل أكرهها ، ان الاسرائيليين يقولون لك : عبد الناصر لا يريد الســلام . الا أننى اقول انى أريد السلام ، بكل تأكيد . ولكن ما أريده هو السلام .. ليس سلام الاستلام والخضوع لتوسع القوى الاسرائيلية . ان ما أريده هو السلام القائم على الكرامة .. السلام الذى يمكن أن يقوم بين العقلاء من الرجال .

« **ان العرب كلهم يريدون السلام** : ولكننا لا نستطيع ولا يمكن أن نتوصل الى اى سلام عادل فى الوقت الذى يتمسك فيه الجانب الآخر بأراضينا الخاضعة لاحتلاله ، ويحول أبناءنا الى لاجئين غاضبين » .

* * *

كان عبد الناصر اذن يسعى الى السلام .. لكن ذلك لا يعنى انه كان بعيدا عن الحرب .. او خائفا من القتال فى سبيل الحرية .

لقد كانت المسئولية العسكرية هى عمله اليومى ، يباشره على مدى ٢٤ ساعة فيما عدا ساعات — أو سويعات قليلة — ينام فيها .

تقول هدى :

« كانت المعركة ، والاستعداد لها هى شغله الشاغل . يهتم بتفاصيله ولا يرتاح الا اذا حل مشاكله .. أذكر مثلا أنه عندما كان يسقط طيار اسرائيلى سواء بعد معركة جوية مع طائراتنا ، أو بفعل المدفعية والصواريخ .. كان يسأل عن نوعية ملابس الطيارين الاسرائيليين .. الأجهزة المزود بها .. كل شىء .. كل شىء .. **حتى يجعل الطيارين المصريين على ذات المستوى بل وافضل** ،لهذا عندما عرف أن مع الطيار الاسرائيلى جهاز **((بيكون))** صغير يستخدمه عندما يسقط من طائرته لارسال ذبذبات تبين للباحثين عنه موقع سقوطه وتحدد مكانه لالتقاطه .. عندما عرف هذا طلب فورا تزويد الطيارين المصريين بمثل هذا الجهاز .. وفعلا تم شراؤه من دولة غربية .

« وغير هذا كثير وكثير مما كان يفعله فى المجال العسكرى .. ومما لا يجوز الحديث عنه .. » .

يعلق حاتم صادق :

« فعلا .. واكثر من هذا **يمكننى التاكيد بانه كان سيشن هجوما ضد العدو فى آخر سنة ١٩٧٠ او الأشهر الأولى من عام ١٩٧١ على الاكثر .. »**.

يؤكد حاتم قائلا : ((لقد قدر لى ان اكون مستمعا لاحاديثه مع الفريق اول محمد فوزى وزير الحربية وقتها — فى اغسطس ١٩٧٠ فى الاسكندرية ، وكانت المكالمات معه تتعدد فى اليوم الواحد كثيرا جدا ، ومحورها كلها ضرورة استغلال فترة وقف النار الأولى — التى بدأت فى ٨ اغسطس — لدفع الصواريخ الى حافة القناة لتغطى سماء المعركة شرق سيناء ، عند العبور ، وكان الرئيس يصدر اوامره العديدة فى تفاصيل الاستعداد)) .

وتنظر هدى الى زوجها :

« فاكر يا حاتم لما رحنا الاسكندرية ، فى أول سبتمبر ١٩٧٠ .. يومها جلس أبى .. وبدت على وجهه كل ملامح الراحة والاطمئنان وهو يقول :

- **« خلاص .. النهاردة بس ، أقدر أقول انى مطمئن .. وأقدر أستريح » .**

يومها كانت قد انتهت تماما المرحلة الأخيرة من بناء حائط الصواريخ المصرى بكل تجهيزاته .. فى مواقعه المطلوبة .. لتغطى العمق المصرى .. على انه برغم هذا لم يسترح حتى اللحظة الأخيرة !

.. تمر لحظات سكون .. ثم تقول هدى :

« يوم ٢٨ سبتمبر ، شعر فى الصباح بالألم .. جاء الأطباء .. دخلوا يكشفون عليه فى غرفة مكتبه ، وكنت أنا فى مكتبى الملاصق له (فهما حجرتان من داخل بعض) .. وطلب منه الأطباء أن يستريح ، أن يأخذ أجازة والحوا عليه .. فقال لهم انه أرسل — منذ ساعات — عددا من الوزراء الى الجبهة لكن هذا لا يكفى لأنه لا بد أن يرى المقاتلين وتجهيزاتهم لهذا سيزورهم فى المواقع الأمامية يومين ثلاثة .. ثم يستريح . وحاول معه الأطباء ليعدل عن الزيارة لكنه أصر .. فعلا برنامج الزيارة كان معى — بحكم كونى سكرتيرته — لاعداد الترتيبات النهائية ..

« ثم .. خرج يودع أمير الكويت ..

« الآن أتذكر والوم نفسى .. كيف لم الاحظ ؟

« كيف ؟ ! » .

ويعود الصمت والسكون ..

* * *

انظر — خلال فترة السكون — الى بعيد .. هاهى فيلا على صبرى نائب رئيس الجمهورية السابق ، الذى أودع السجن بعد المحاكمة فى تضية

مايو المعروفة ، ترى هل كان من الممكن أن يصـــير على صبرى رئيسا للجمهورية اذا كان قد نجح فيما فعله هو وشعراوى جمعه وسامى شرف والآخرون ؟ وماذا كان يمكن أن يكون عليه الحال ؟

تفاجئنى معلومات جديدة ، ان التخطيط كان مرسوما على أســـاس ان يكون على صبرى مجرد واجهة يخلعه الآخرون ليتولى الرئاسة شعراوى .. ولهذا فان شعراوى استعدادا للمنصب بدأ قبلها بأسابيع يتلقى دروسا فى اللغــــة العربية !

أما سامى شرف ، فانه بالفعل شخصية غريبة !

لقد كان حالة مرضية معقدة !

سلوكه وكلماته فى الحياة اليومية كانت تتسم بالسوقية .. وكان دائما ما يذكر حياته العائلية — فى النشأة والتكوين — بالكراهية !

* * *

● قلت لهدى عبد الناصر : ان أحد الأخطاء الجسيمة التى تلصق بالقائد الخالد ، هى تمسكه بهؤلاء المحيطين به ؟ لماذا لم يتخل عنهم ويبعدهم عن السلطة ؟ ؟

قالت هــدى :

« أنا شخصيا سألت أبى هذا السؤال مباشرة .. وكان رده :

« يا بنتى انتى متعرفيش الحكم معناه ايه بتعقيداته .. فيه حاجات كثير أنا مش موافق عليها ، لكن فيه ظروف ، وفيه عناصر مختلفة ، وأولويات ، واحنا بنحارب فى أكثر من معركة وأكثر من جبهة .. ولا بد من وجود عناصر الاستمرار فى نفس الوقت الذى يجرى فيه التغيير .. » .

يضيف حاتم صادق : « يمكن القطع أن الريس عبد الناصر كان هايشيل النـــاس دول » .

تستمر هدى : « كان دايما يقول لى أن التعـــامل مع الذين يتولون السلطة ، أمر ليس هينا لكنه بالغ التعقيد كان يقول لى أيضا ان المعاناة كانت رهيبة مع الذين نفذوا الثورة فى ٢٣ يوليو ومع الذين تولوا السلطة .. والى الآن » .

* * *

فى مرة .. **فى جلسة لمجلس الوزراء سنة ١٩٧٠** عرف جمال عبد الناصر عن قضية **اختلاس من التليفزيون** ، بلغت قيمة المبالغ المختلسة فيها حسب ما تم حصره نحو مليون ونصف مليون جنيه .

وذهل عبد الناصر .. ونظر الى الوزراء المختصين معنفا ، طالبا البيانات كلها ، راجيا كل وزير ان يكشف ما فى وزارته وأن يتكلم بصراحة .. وقال لوزيرى الداخلية (**شعراوى**) وشئون الرياسة (**سامى**) **ولمحمد فايق** (الذى كان وزيرا للارشاد حتى قبلها بأيام عندما عين وزير دولة) انهم فى يوم من الأيام ســـوف يعرفون ، كيف ســـيعاقبهم و .. قال لهم فى حزم :
« سأستبيح دماءكم للشعب . » !

قلت : ربما من هذا اليوم بدأ الاثنان مع الآخرين ، يعملون لحساب أنفســـهم !

قالت هدى :

« لا .. بل من قبـــل ذلك ، ربما من سبتمبر ١٩٦٩ .. على ان ابى ـــ كما قلت لك ـــ كان بكل كيانه .. بكل ذرة فيه ، مستغرقا فى المعركة ».

● « أثاث منزلى من مصر فيما عدا الثلاجة التى طلب منى ابى الاحتفاظ بفواتيرها كاملة ! » .

● حسن ابراهيم — نائب الرئيس الأسبق — يفتح النار على أعداء الثــورة :

● « عبد الناصر شخصية تاريخية فذة ومهاجمته هو والثورة حملة مدبرة لغير صالح الشعب » .

● « القوتان الأعظم تآمرتا ضد عبد الناصر .. لأن كل منهما عرفت انه الرجل الذى لا يركع » .

● قال عبد الناصر لمحمد حسنين هيكل : « من بعدى سيسلخونك حيا ! »

— ٦ —

تستمر هدى فى الذكريات .. تتحدث عفويا .. تنتقل من موضوع الى آخر بغير أســئلة معدة سلفا ، أو اجابات جاهزة .. تؤكد ان اباها ، **قد بدأ فعلا فى تصفية مراكز القوى** — وهذا هو تعبيره بنفسه — **بعد حرب يونيو ١٩٦٧** .. وانه كان ينتوى تصفية ما تبقى خلال وقت أسرع مما كان يتصور احد ، لكن المعركة كانت تشغله كما انه كان — كما سمعت منه شخصيا — يحافظ على عناصر الاستمرار مع احداث التغيير المطلوب ، دون أن يحدث خلل .. كما انه وهذه نقطة هامة كان يستطيع ان يكبح جماح الشارد عند اللزوم .. **وخصوصا فى السنوات** من ٦٧ الى ١٩٧٠ .

تستطرد ابنة جمال عبد الناصر وتتذكر ..

ويظل كلامها فى ذهنى ، مع كلام آخرين من اتجاهات مختلفة ، واذهب الى لقاء واحد من « الرفاق القدامى » .. وهو حسن ابراهيم نائب رئيس

الجمهورية الأسبق ، وأحد أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وقبلها أحد أعضاء اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار ، وقبلها أحد أعضاء الخلية الأولى التى شكلها جمال عبد الناصر والتى لم يكن فيها عندما انضم اليها سوى : **خالد محى الدين وكمال الدين حسين** .. مع تناقض أفكارهما لكنهما تفاهما أو تعايشا تحت قيادة عبد الناصر .. !

وقبل أن ألتقى بـه ، حدثته تليفونيا لتحديد موعد .. ولما **سألنى** عن موضوع اللقاء .. **قلت له** : نتحدث عن جمال عبد الناصر وثورة يوليو .. هنا أحسست أن جسده ينتفض وهو يقول لى عبر أسلاك التليفون :

« اننى غير مستعد لأن أشترك فى عملية نهش لحم جمال عبد الناصر وثورة ٢٣ يوليو .. ان هذه حملة مدبرة لغير مصلحة الشعب .. » .

* * *

قال لى حسن ابراهيم ، ونحن جالسين فى حديقة منزله بمصر الجديدة ، مساء الأحد ٣١ أغسطس الماضى (١٩٧٥) :

« لقد كان جمال عبد الناصر ، **شخصية تاريخية فذة** ، غيرت جوهر الحياة فى مصر وفى الأمة العربية كلها تغييرا جذريا ، بل أثرت فى المجال الدولى تأثيرا بالغا ، مستمرا حتى الآن وسوف يستمر الى ما بعد الآن .. وهذا التغيير والتأثير الى الأحسن والأفضل ..

« ليس معنى ذلك ان جمال عبد الناصر ليست له أخطاء ، لكن من هو المنزه عن الخطأ ؟ لقد كانت لنابليون ـ مع الفارق فى الأهداف ـ أخطاء ، لكنه ظل ولسوف يبقى من أهم الشخصيات التاريخية ليس فى فرنسا وحدها وانما فى العالم كله ..

« لقد انهزم عبد الناصر فى ٦٧ .. هذا صحيح !

« لكن هل طمس التاريخ كل معالم نابليون وشوه صورته ومسخها لأنه انهزم فى ووترلو ؟

« أم أن المقصود هنا تشويه ثورة ٢٣ يوليو .. ولمصلحة من ؟

« ان جمال عبد الناصر كان هو نفسه ، من أول ضحايا ٦٧ .. تضاعفت امراضه ، وأفترسه الألم ، ولم يمتثل هو للأطباء .. اندفع بكل طاقاته مقاتلا فى معارك ليل نهار ، حتى استشهد .. وصار ضحية !

« فى رأيى — يؤكد حسن ابراهيم — **ان حرب ٦٧ كانت مؤامرة من القوتين الأعظم** .. من الولايات المتحدة الأمريكية التى أدركت منذ عام ١٩٥٣، انها لا يمكن أن تطوى جمال عبد الناصر ، **ولا يمكن أن يكون رجلها !** ومن الاتحاد السوفييتى الذى أيقن هو الآخر ان هذا زعيم للمنطقة ، وانه يقود امته بشخصية قوية ، وانه .. وان كان يتعامل بمودة مع الكتلة الشرقية ، ويطبق الاشتراكية .. **الا أنه لا يمكن أن يكون تابعا !**

« لهذا — وبغيره مما يحتاج الى شرح طويل — تآمرت عليه الدولتان الأعظم .. ابتداء من « **معلومة** » الحشود على الجبهة السورية ، الى « **طلب** » ان لا يهاجم فى زيارات الفجر المعروفة التى قام بها السفراء ! »

ويستطرد حسن ابراهيم فى انفعاله الهادىء مؤكدا ان عبد الناصر كان ضحية هذه الحرب لأسباب عديدة منها ما يتعلق بالداخل ، وما يدخل فى مدى القدرة العسكرية لعبد الحكيم عامر ، وما يختص بمجموعة من القادة والضباط الذين افتقدوا روح القتال وخافوا على مصالحهم الشخصية .. ومنها — **وهذا يأتى فى المقام الأول** — لعبة الدولتين الأعظم القوىالامبريالية وعملائها من الرجعية العربية !

« على اى حال ، ان ما حدث فى ٦٧ يحتاج الى مناقشة مستفيضة وشرح متكامل ، لكنه مع تحفظات لى ليس أكثر من « جزئية » .. ليس منطقيا ولا ممكنا الحكم بها على تاريخ رجل وثورة ! ..

« ثم .. ان البعض يتبجح الآن راميا عبد الناصر — والثورة التى هو قائد لها — بالجرم فى حق أشخاص ..

« **من هم هؤلاء الأشخاص الذين ارتكبت الجرائم فى حقهم** .. ان صدقا ، وان كذبا ! ان عدلا ، وان ظلما !

« كم .. عددهم ؟

« مائة .. خمسمائة .. الف ؟ !

« وعلى الناحية الأخرى . من هم الذين تحققت مصالحهم منذ قامت الثورة .. فى عهد عبد الناصر ؟

« انهم أكبر الكتل » الجماهيرية التى تمثل الغالبية العظمى للشعب : العمال والفلاحون ..

« لقد استفاد العمال — وعددهم بالملايين من حيث ايجاد فرص عمل لهم فى المصانع الجديدة ، ورفع الأجور ، وتأمينهم ضد الفصل التعسفى ، وتقرير معاشات لهم والى غير ذلك .. مئات المكاسب علاوة على أثر هذا فى رفع مستوى الشعب : ماديا واجتماعيا ، وفى تشييد الصناعة الوطنية بغير استغلال للانسان » .

* * *

●● نتوقف هنا لحظات .. نستدعى دكتور عزيز صدقى للشهادة :

« لقد تضاعف حجم الصناعة المصرية خلال العشرين سنة الماضية — أى منذ قيام الثورة — ثمانى مرات . بحيث أصبح الانتاج الصناعى المصرى يقدر بحوالى ٢٧٠٠ مليون جنيه ، وهذا يعنى ان هناك سلعا تنزل الى الأسواق المحلية ويصدر بعضها الى الخارج وتصل قيمتها الى هذا الرقم . ويعنى أيضا ان الصناعة المصرية أغنتنا عن استيراد سلع بنفس القيمة ، لم يكن من الممكن استيرادها لعدم توافر النقد الأجنبى .. ولهذا يمكننى التأكيد أن الاقتصاد المصرى — برغم ما لا يزال ينقصنا — يمكن أن يعتمد فى المقام الأول على انتاجه الذاتى » .

* * *

و .. نعود الى الحوار مع حسن ابراهيم الذى يعدد أوجه المكاسب التى حققتها العمال ، وهى بغير حاجة الى تكرار ، ثم ينتقل الى الكتلة الثانية التى استفادت .. أى **الفلاحون** الذين كان أول ما حصلوا عليه : تحريرهم من العبودية ، ثم رفع مستواهم الحياتى .. اقتصاديا واجتماعيا ، مما أدى الى انتعاشهم وتعليم أبنائهم .. و .. و .. لا داعى أيضا لتكرار كل المكاسب فهى معروفة .. ومن أجلهم صدرت أولى القوانين الثورية بتحديد ملكية الأرض .. ومن أجلهم أيضا صدر قرار الخمسين فدانا خلال عام ١٩٦٩ وسط حرب الاستنزاف .

يقول حسن ابراهيم : « هل يمثل العمال والفلاحون .. أقلية أم أنهم يمثلون اغلبية الشعب .. وهل استفادوا أم لا ؟ .. وهل كان حالهم قبل الثورة ، أو قبل عبد الناصر ، أحسن من حالهم اليوم ؟

« انني أعرف اقطاعيين ، أستطيع تسميتهم بالاسم .. كانوا يكبلون الفلاحين بالسلاسل الحديدية ويجيئون بهم هكذا حتى يتفرج عليهم زوارهم من الأجانب وأترابهم من الاقطاعيين والأرستقراطيين .. وذلك لا لشيء الا لاثبات ان لديهم « عبيد » .. وللهو بهم في حفلات السمر !. انني أستطيع أن أسمي هؤلاء بالاسم ، فهل هذا خير من اليوم ؟ وهل هذا يشكل جريمة أم لا ؟ وهل هي جريمة تسقط بالتقادم أم العكس ؟ ومن الذي يطالب بتوقيع العقوبة ؟ وهل كانت الثورة التي قامت بقيادة عبد الناصر لمصلحة هذا الشعب المكبل .. سوداوية دموية مثل هؤلاء .. هل فعلت بهم ما فعلوا بالانسان المغلوب على أمره ؟؟ » .

* * *

●● يقول المهندس سيد مرعي ، رئيس مجلس الشعب الحالي ، والذي تابع بحكم المسئولية قوانين الاصلاح الزراعي وما يتعلق بالفلاحين والزراعة في عهـد الثـورة :

« لا زال ماثلا في وجداني أيضا حسك — أي حس عبد الناصر — المرهف لكل نبضة من نبضات الفلاحين .. كنت تشعر بمشاكلهم وآلامهم كلما أحسوا بها .. فتسارع بالتوصية لتوضع الحلول الحاسمة للمشاكل »
(الأهرام ٤ أكتوبر ١٩٧٠)

* * *

●● ويقول د. عبد العزيز حجازي ، الذي كان وزيرا للخزانة لسنوات طويلة ، ثم صار في عهد الرئيس السادات ، رئيسا للوزراء :

« اما انا ، فعبد الله ، آمنت بقضائه وقدره ، عشت معك اصعب لحظات عمرك ، فوجدتك مؤمنا صادقا ، امينا مخلصا .. تريد لشعبك الحياة ، وتتطلع الى النصر والسلام . فكنت انت المثل في

التضحية والفداء ، وكنا نحن معك من الأوفياء المخلصين ، لأنك صاحب رسالة .. نسير معـــك على الدرب ، حلوه ومره » .
(الأهرام ٤ أكتوبر ١٩٧٠)

* * *

●● ويخاطبه الدكتور يوسف أدريس :

« يا أبا الذى فى الأرض .. يا صدرنا الكبير الحنون الذى كنا فى ظله نكتب ونخطىء وننقد ونتتج ونصرخ ونتدلل ونحارب ونثور .. **يا أكبر من حلمت به مصر وأنجبه العرب** .. يا من فاجأتنا بثورتك .. كان لابد أيضا أن تفاجئنا بموتك »
(الاهرام ٣٠ سبتمبر ١٩٧٠)

* * *

●● ويلتاع الدكتور لويس عوض :

« عندما توقف القلب الكبير ، بدا وكأن كل شيء ينهار .. الصرع الكبير سقط عماده ! بكاء من بكاء الثكالى ، وعويل من عويل اليتامى . وكان أفقر الناس وأكثرهم حزنا عليه .. أولئك الذين لم تأتهم الثورة بخز ولا ديباج .. لطموا الخدود وشقوا الجيوب ، ومنهم من خر مغشيا عليه لأنهم احسوا ان الذى توقف هو قلب مصر .. قلب مصر بلا زيادة أو نقصان .. يا ابن مصر الذى أسرى وسوف يعود ، نحن الفقراء نقول :

« مات جمال وعاشت مصر ، لأنه عائد فى الصباح ..

« تذكروا دائما انه عائد فى الصباح ..

« اياكم ان تنسوا انه عائد فى الصباح ..

« ليخلع عنا الأسمال ويلبسنا الحلل السندسية » .

(الأهرام ٣٠ سبتمبر ١٩٧٠)

* * *

●● وقال الدبلوماسى والأديب الكبير يحيى حقى :

« هو الرئيس الذى لم يخض الناس فى سيرته الشـــخصية بالحق أو بالباطل ، فكان نعم الأب والزوج .. وكان له نعم الزوجة

والأبناء فى ظل التمسك بالشرف والاستقامة ، وانت تعلم مقدار اغراء الانصراف بعد حرق الأعصاب فى عمل ذهنى مرهق .. الى مجالس الأنس ، ولكن انصرافه هو كان الى حضـــن أسرته » .
(الاهرام أول أكتوبر ١٩٧٠)

* * *

كان جمال عبد الناصر يرفض الاندفاع الى الاســـتهلاك والتكالب على الكمـــاليات ، الذى يؤدى الى خلل فى الاقتصاد ــ على مســـتوى الدولة أو الأسرة ــ كما يزيد من اتساع الهوة والفروق بين الطبقات .

كان يقول دائما لقرينته وأبنائه ، ان « **الانسان ــ رجلا كان أم امرأة ــ يجب أن يعيش بشكل معقول وان يرتدى الملابس المعقولة والمناسبة الانيقة .. غير أنه لا يجب الجرى ــ مثلا ــ وراء الموضة من أجل الموضة .. لمجرد التباهى والتفاخر .. وارتداء أو استخدام الأجنبى والمستورد ! »**

كان يقول ان المرأة يجب أن تتاح لهـــا كل فرص التعليم حتى البعثات التخصصية .. وان تفتح أمامها كل مجالات العمل حتى تصل الى منصب الوزارة .. وأن تعطى لها حقوقها السياسية والاجتماعية .. وانه يسعد كثيرا عندما يرى فتاة متفوقة سواء فى دراستها أو فى عملها أو فى اى مجال ، بل انه كان يساعد الكثيرات ..

* * *

●● **تروى الدكتورة ليلى تكلا عضو مجلس الشعب :**

« قلت له يوما ، وما زلت فى مرحلة الدراسة ، محاولة ان اعبر عن تقديرى : « لا أعرف كيف أشكر سيادتكم ان هيأتم لى فرصة استكمال دراساتى » . فرد بابتسامته قائلا :

« أن أفضل وسيلة تشكريننى بها هى أن تتقدمى فى دراستك .. وأن تتقنى أعمالك » . (الأهرام ٤ أكتوبر ١٩٧٠)

* * *

كان عبد الناصر ، مؤمنا بكل ما تنادى به المرأة ، بل انه أعطاها من الحقوق ما تجاوز طلباتها وما تقدمت به على غيرها فى دول أخرى متقدمة .. على أن عبد الناصر كان بينه وبين الترف الزائد عن الحاجة ، ود مفقـــود !

« مرة ــ تقول هدى ــ كنت معه فى حجرته حيث كان يسمع ــ خلال القراءة ــ أغنية « هذه ليلتى » لأم كلثوم التى سجلها بنفســـه على جهاز التسجيل ، وطلبت منه أن يشترى لى جهازا مثله ، فرد على : **ان شاء الله ، اجيب لك بعد ما نطرد اليهود »** .

قالت هدى : « ربما لا يصدق البعض اننا كنا نعيش كأسرة عادية ، بل أن حاجاتنا كلها مشتراه من مصر . ان عفش منزلنا ــ حاتم وأنا ــ معظمه من مصر .. صحيح اننا اشترينا أشياء مستوردة لكن مثل أى أسرة ! وعلى سبيل المثال ان الثلاجة من الخارج .. لقد اشتريناها .. ودفعنا لهـــا الجمارك .. والفواتير موجودة لدينا .

« لقد كان أبى ــ وكأنه يتنبأ ! ــ يطلب منا الاحتفاظ بهذه الفواتير .. كان يريد أن نتسلح بالوثائق فى مواجهة أى قوى » .

« كان يخشى على مصر من الثورة المضادة .. واكثر منها كان يخشى على الأمة بعده ، من بعض المحيطين به ــ جماعة مايو ١٩٧١ ــ الى حد أنه قال لهيكل :

●● « من بعدى .. سوف يسلخونك حيا ! »

- كيف تزوج أبناء عبد الناصر ولمــاذا تزوج آخرهم حفيــدة البدراوى عاشـــور ؟
- « حاسبوا أبى سياسيا وشــخصيا منذ ما قبل الثــورة حتى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ »
- حسن ابراهيم يقول :

« لو عاد بى الزمن الى الوراء كنت انتخب عبد الناصر قائدا للثورة »

— ٧ —

تتذكر هدى عبد الناصر .. وتتذكر .

انه لم يكن فى ذهنها ، ذات يوم ، ان تكتب مذكراتها أو تمليها .. أو حتى تدلى بحديث صحفى ! انها برغم طلاقة لسانها — كما شعرت — وترتيب أفكارها .. لا تهوى الكتابة ، وانما تعشق الدراسة الأكاديميــة ، ولذلك تستعد الآن للدكتوراة فى السياسة عن : « الديمقراطية الليبرالية والتقــدم التكنولوجى فى الغرب » .

لقد علمها أبوها — هى وأخواتها — الابتعاد عن السياسة فى حياته .. وعلمهم أن يشق كل منهم طريقه حسب امكانياته وقدراته ، بصرف النظر عن : ابن من هو ؟

هكذا مثلا اعتمدت هى على نفسها ، حتى التحقت بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية .. تمارس حياتها كطالبة عادية ، تشترك فى أسر الجامعة وتلعب كرة السلة فى ملاعبها .. بل انها طلبت من أبيها أن يأمر بابعاد رجــال الحرس الذين أرسلهم المسئولون عن الأمن فى الرئاسة .. ان هؤلاء الرجال — كما شعرت — لا يحرسونها .. وانما يخنقونها !

وهكذا **دخلت** في علاقات زمالة طبيعية مع زملائها الطلبة .. ومنهم كان **حاتم صادق** الذى توطدت بينهما المعرفة .. **ثم كان الحب** .. حتى ذهبت الى أبيها — الذى علمها وأشقاءها — الاستقلالية .. والحرية الملتزمة المسئولة .. وكأى أب عادى .. طلب منها أن يراه .. وحدد الموعد !

أيضا كان اعتماد منى — التى تصغر هدى بـ ١٣ شهرا — **على نفسها .. غير أنها حصلت على الثانوية العامة بمجموع لا يؤهلها لدخول الجامعة .. ومن ثم واجهت المشكلة !**

وقلقت منى — آنذاك — وقررت فى البداية ان تعيد السنة حتى تحصل على مجموع كبير يؤهلها لدخول الجامعة .. وبات هذا القرار هو الذى سينفذ حتى جاءت اليها صديقة قالت انها ستلتحق بالجامعة الأمريكية ، التى تقبل مثل مجموعها ، وهنا قررت منى أن تفعل مثلها ! كأى طالبة عادية .. بصرف النظر عن كونها ابنة « الرئيس » بل انهـا تذكر ان اباها كان يؤكد لها دائما هذا المعنى .

المهم .. ان **منى** مارست الحياة الجامعية بشكل عادى ، ومثل هدى طلبت أيضا أن يتركها الحرس .. ثم كان أن تزوجت **باشرف ابن** (العميد) **بالقوات المسلحة أبو الوفا مروان ..**

خالد أيضا ، وهو أكبر الأشقاء الذكور ، عاش حياته كشاب مصرى وليس كابن رئيس جمهورية ، هكذا يعرف ويقول الذين زاملوه فى الدراسة حتى تخرج من كلية الهندسة بعد رحيل والده ، وعين معيدا فى كليته .. ثم تزوج زيجة عادية .. وكذلك أيضا شقيقه التالى **عبد الحميد** الذى يعمل الآن فى الخارجية ، وصدر منذ شهر قرار بتعيينه فى السفارة المصرية بلندن .. وأيضا **حكيم — أو عبد الحكيم** — أصغر الأبناء — الذى لا يزال هـذا العام ٧٥ — ١٩٧٦ فى بكالوريوس هندسة ، والذى تمت خطبته الى **نجلاء رءوف قطرى** .. وهى الخطبة التى أثارت دويا واستغلتها صحف أخبار اليوم استغلالا مثيرا فنشرت الخبر عن زواج ابن عبد الناصر بحفيـدة البدراوى عاشور .. ثم نشرته مع صورة للعريس يقبل يد العروس ، وركزت على أن **فؤاد سراج الدين** هو وكيل العروس !

وكانت صحف أخبار اليوم فى ذلك كله توحى ان هذا هو ابن قائد الثورة الذى نادى بالاشتراكية يتزوج ابنة الاقطاعيين ، وصاحبت عمليات النشر حملة من الهمس تشرح هذا .. وتتهكم !

تتعجب هدى عبد الناصر .. وتقول :

● « **أولا** .. انها ليست حفيدة البدراوى عاشور ، لكن هناك صلة نسب بين الأسرتين .

● « **ثانيا** .. ان أبى لم يكن ضد أحد مهما كان .. لكنه ضد امتيازات الطبقة وضد الاستغلال ، وذلك حتى يتحرر الانسان المصرى ويمارس حياته كريما دون احساس بالتبعية لأحد ، أو العبودية . ولهذا فهو لم يكن على وجه الاطلاق فى موقف العداء الشخصى لأحد من أسرة البدراوى أو سراج الدين أو غيرهما .. بل ان أحد أفراد أسرة سراج الدين كان ضابطا زميلا لأبى (عيسى سراج الدين) وكان من بين صفوف الضباط الأحرار الذين ساهموا فى الثورة !

● « **ثالثا** — تضيف هدى — ان الزواج حالة خاصة جدا ، عمادها الحب الذى يربط الطرفين .. والحب خارج عن دائرة التصنيف السياسى والعقائدى !

● « **رابعا** — وهذا كلام **لا علاقة له بشقيقى حكيم** لكنه نظرية عامة — **ارجوكم حاسبوا أبى على ما فعل فى حياته ، سواء سياسيا أو حتى فى السلوك الشخصى وحياته الخاصة حاسبوه فى الفترة من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، بل من قبل ذلك حتى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، بعد ذلك اذا ارتكب أحد أفراد أسرته — أنا مثلا — خطأ ما فلا دخل لأبى فى هذا .. وانما حاسبوا كلا على ما فعل .. ذلك يصبح عدلا وحقا .. وما عداه فهو الضلال المبين » !**

* * *

وهنا يثور سؤال هام يقول : لكن عبد الناصر ، كان يضع الكثيرين فى المعتقلات والسجون .. وبينهم فؤاد سراج الدين (باشا) الذى كان أحد اقطاب الوفد بل سكرتيرا عاما للحزب ؟

وكما يجىء السؤال ، تجىء الاجابة :

لقد كانت اعتقالات كثيرة تتم دون أن يدرى .. فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ، مثلا ، تم القبض على مجموعة من رجال الأحزاب السابقة .. وبينهم فؤاد سراج الدين ولما علم عبدالناصر أمر بالافراج عنهم فورا .. انأوامر الاعتقال كانت تصدر عن الذين تولوا مسئولية الأمن ، وكان أسهل ما لديهم القبض درءا للخطر .. وفى مرات كثيرة كان عبد الناصر يثور ويغضب ويعنفهم .. ثم يجب الا ننسى المؤامرات التى تعرضت لها الثورة خلال سنواتها ، وبالذات فى مرحلتين دقيقتين ، **أولهما** : بعد قيامها مباشرة أى فى النصف الأول من الخمسينات ، **وثانيهما** : بعد التحول الاشتراكى فى النصف الأول من الستينات **ولا يجب أن ننسى ــ كذلك ــ الجهات التى لعبت أدوارا خطيرة فى الايقــاع بين الثورة والآخرين** .. لقد قال فؤاد سراج الدين مثلا ــ أخيرا ــ انه خلال المباحثات مع قيادة الثورة سنة ١٩٥٢ .. سافر الى الاسكندرية ثم عــاد على موعد للقاء رجال القيادة .. وبينما كان فى طريقه الى القاهرة قرأ خبرا فى جريدة آخر لحظة ــ ملحق آخر ساعة التابعة لأخبار اليوم ــ ان فؤاد باشا قد صرح بأنه تفاهم مع رجال الثورة وانه قد وضعهم فى جيبه !

هكذا كان الخبر ، وقد كذبه فؤاد سراج الدين ، لكنه وقتها أحدث فرقعة ... وهذا مثال بسيط جدا ! فهناك أمثلة عديدة من الذين كانوا يوقعون ويسفهونَ الآخرين ، وقد أشار اليهم عبد الناصر فى فلسفة الثورة وفى أحاديثه بعد ذلك ، كما أشــار اليهم الرئيس أنور السادات فى كتبه عن قصة الثورة ! »

ثم هل ننسى ان الثورة قام بها مجموعة كبيرة من الضباط ، الى جانب مجلس القيادة ، وان كلا منهؤلاء كان يتصرف وكأنه وحده وبأفكاره .. الذى يحمى الثورة وينقذ البلد .. لقد كان كل واحد من هؤلاء ــ نحو ٩٥ ضابطا ــ يعتبر نفسه انه الذى قام بالثورة ، وان أفكاره هى الأصلح .. وان له حقوق عديدة ! بل وان له امتيازات الحاكم نفسه وسلطاته !!

تقول هدى : « لقد بذل أبى ــ فيما قال لى ورويته لك ــ جهدا خرافيا حتى يسيطر على هؤلاء وينقذ البلد مما يرونه الصواب .. ولذلك وبرغم شطحات هنا ، أو شطحات هناك تعتبر ثورة يوليو ــ قياسا على غيرها من

الثورات سواء فى التاريخ القديم أو المعاصر — ثورة بيضاء .. وهـذا ليس استنتاجا من بطن المجهول .. فلننظر حولنا .. نتفكر ، ونرى !! »

* * *

●● **نتوقف ايضا للحظة .. نقرأ ما جاء على لسان المستشار عادل يونس وزير العدل ، فى حديث معه نشر بمجلة روزاليوسف المصرية أول سبتمبر ١٩٧٥ :**

« حين قامت ثورتنا لم يكن لها أى ضحايا ، بينما الثورة الفرنسية مثلا حكمها الغوغاء بالارهاب ..

« الثورة ، وهى الانتقال بين عهدين ، تبحث بداهة عن وسائل الحماية .. لأن القاعدة الأساسية للثورة هى : **ان الثورة تخلق القانون** .. اذا نجحت تصنع قانونها واذا فشلت يحاكم أصحابها بالقانون .

« الثورة الفرنسية كان قضاتها من عامة الشعب .. خبازين وحدادين .

« ثورتنا استعانت بالمستشارين القانونين مثل سليمان حافظ وهو قاض .. واذا لم يوجد سليمان حافظ وقتها لوجد سليمان حافظ لأن مسألة حماية الثورة لنفسها ضرورة .. هى محتاجة الى سياج قانونى .. اذن لابد من مستشارين » .

* * *

قال لى حسن ابراهيم : « **يحاولون الآن احياء شخصيات من عهد ما قبل الثورة على أساس انها تاريخية ، وهذا لا اعتراض لى عليه . لكن هل خلال ذلك نرجم جمال عبد الناصر وننكره هو والثورة ؟**

« اننى أقول لك هذا وأنا منذ البداية أضغط على أمرين :

١ — « اننى قد اختلفت معه عدة مرات ، وقدمت استقالتى ثلاث مرات ، آخرها سنة ١٩٦٦ .

٢ — « أن ثورة يوليو التاريخية ، وشخصية عبد الناصر الفذة ، فى حاجة الى دراسة أشمل وأعمق تتناول الايجابيات والسلبيات .. وتناقش ما حدث فى موضوعية تامة ، وبهذا لا يتسع لها كتاب واحد وانما مجلدات عديدة .

« هذا وان كان رأيى أن ايجابيات الثورة وعبد الناصر أكثر بكثير من السلبيات .. وشواهد ذلك موجودة فى كل مكان » .

● **قلت لحسن ابراهيم :** هل تسمح لى أن أسألك سؤالا قد يبدو سطحيا .. اذا عاد بك الزمن الى الوراء ، هل كنت تشترك فى تنظيمات الضباط الأحرار ثم فى الثورة ؟

— « نعم . وبكل تأكيد »

● **وهل كنت ستنتخب جمال عبد الناصر رئيسا وقائدا ؟**

— « نعم .. وبكل تأكيد ، لقد سبق انتخابه مرتين رئيسا للجنة التاسيسية للضباط الأحرار قبل الثورة ، وبعدها عندما شكل مجلس قيادة الثورة انتخب رئيسا له .. ولو عاد بنا الزمن مرة أخرى الى البداية .. كنت أنتخبه .

« انك لا تعرف جمال عبد الناصر .. **لقد كان له فى حياته العامة والخاصة اهتمام واحد فقط هو العمل الوطنى ..**

« كان لديه **أحلام عريضة يريد تحقيقها لمصر وللعرب ..**

« كان مثالا **للطهر والنزاهة ..**

« كان كذلك منذ أول مرة رأيته فيها حتى رحيله » .

* * *

فى جلسة مجمع اللغة العربية المشهور بمجمع الخالدين ، التى انعقدت يوم ٤ أكتوبر ١٩٧٠ .. أصر عميد الأدب العربى ، الراحل العظيم دكتور طه حسين على الحضور ليؤبن عبد الناصر .. وقال فى كلمته التى أغمى عليه خلالها ، حزنا وتأثرا :

« كنا نثق بأن الرئيس جمال عبد الناصر سيمد له فى الأجل لتحقيق أهداف الوطن ... فهو قد حاول موفقا الى أبعد الحدود : الغاء الطبقات والأخذ بيد الضعفاء والفقراء ، والمساواة الكاملة بين المواطنين ، وحاول شيئا ما أظن أنه حوول — أى حاوله أى أحد فى العالم — من قبله وهو : ان يلائم بين الاشتراكية والديانات السماوية » ..

« واشهد انى عرفت الرئيس جمال عبد الناصر منذ اوائل الثورة، واتصلت بينه وبينى مودة كانت فى غاية الاخاء وفى غاية المتانة ... وله على فضل لا انساه ، فهو قد تفضل ذات يوم وفاجانى بان اهدى الى قلادة النيل ولم يكن اهداء هذه القلادة للافراد والمواطنين مالوفا من قبل (كانت تهدى فقط للملوك ورؤساء الدول) ... وما أرسلت اليه برقية بتحية أو تهنئة ، الا رد عليها بخير منها ، فكان صديقا صادقا ، واخا حميما ، وكان برا عطوفا على كل المواطنين ، وهذه كلها أخلاق ما عرفناها فى الذين ينهضون بالحكم » !

* * *

يقول البعض عن جمال عبد الناصر انه كان يسحر الجماهير ، وانه كان يسيطر عليهم ، وينومهم تنويما مغناطيسيا ... ولقد أثار هذا الكلام ــ لصدوره من اصحاب اقلام تفترض فيهم الحكمة والتعقل ! ــ موجة من السخرية ، على أن حاتم صادق يعلق قائلا :

« لقد لمسوا ظاهرة فى علم السياسة وهى الـ Carimatic Leadership

التى نترجمها احانا بكلمة الكاريزما ... ونعنى بها العلاقة الاستثنائية التى تقوم بين الجماهير والزعيم ، حيث تجد فيه ما يشدها اليه باعتباره البطل التاريخى الذى ينتظرونه والقائد الذى تتجسد فيه أمانيهم ، ويرون انه ــ بالفعل ــ تعبير حقيقى عن أهدافهم ومصالحهم، ولا تتاكد هذه العلاقة الا من خلال الممارسة الطويلة حيث يلمس الشعب ويتيقن : صدق الزعيم معه ومع نفسه .. صدقه على المستوى العام والمستوى الشخصى ، وبعده عن كل ما يسىء اليه ، واقترابه من الجماهير وحياتهم .

* * *

تروى هدى ، أنه فى الستينات ، كان يجرى طلاء المنزل ، ومن ثم انتقلت الأسرة للاقامة فى قصر الطاهرة (بسراى القبة) غير أن والدها أبدى ضيقه من هذه الحياة فى القصر الفاخر .. ولهذا انتقل بهم الى استراحة القناطر قائلا انه لا يطيق هذه الحياة من جهة ومن جهة أخرى لا يريد ــ كما يكرر

دائما — التعود عليها .. وامر ان يتم الطلاء بسرعة .. بل انهم عادوا الى البيت ولم يكن الطلاء قد انتهى كله .

●● **وفى حرب ١٩٥٦** ، لم يكن فى المنزل ، مخبأ .. وكان مستهدفا بطائرات العدو ، لذلك فانه فيما بعد ، جرى بناء مخبأ كبير .. مزود بغرفة عمليات يستخدمها الرئيس وقت القتال .. وغرف للاسرة !

●● **على أنه — عندما جاءت حرب ١٩٦٧ — لم ينزل الرئيس الى المخبا وفضل العمل من مكتبه العادى** .. لذلك أصرت السيدة قرينته على أن تبقى هى الأخرى بجواره فى البيت ، ومثلها أصر الأبناء .. أيضا فانه خلال حرب الاستنزاف لم يجر استخدامه ، وبعد رحيل عبد الناصر ، وخلال حرب أكتوبر الضارية ... لم تشأ الأسرة أن تنزل الى هذا المخبأ تشاؤما .. وبهذا فانه لم يستعمل على الاطلاق .

●● **لقد تشاءمت السيدة تحية عبد الناصر ، من المخبا الذى جهز تماما قبيل معارك سنة ١٩٦٧ .. التى شاهدت خلالها الزوجة الوفية والأولاد :**

عبد الناصر العظيم — للمرة الثانية فى حياته — وهو فى ذروة آلامه النفسية وتاثره !

كانت المرة الأولى .. عند وقوع مؤامرة انفصال سوريا !

أما المرة الثالثة .. فكانت عندما سمع بوفاة عبد الحكيم عامر !

❋ ❋ ❋

لقد كان عبد الحكيم عامر ، بالنسبة الى جمال عبد الناصر .. اكثر من اخ .. وأكثر من صـــديق !

اذن ما الذى حدث بينهما — **فيما تعرفه هدى** — خصوصا فى الفترة الحرجة جدا .. من ٥ يونيو ١٩٦٧ — **عند نشوب القتال** — الى ١٤ سبتمبر .. **عندما توفى عامر ، ولا أقول — حتى الآن — قتل أو انتحر ؟ !**

- **عبد الحكيم عامر .. انتحر أم قتل ؟**
- **الوقائع الكاملة للمقابلة السرية بين عبد الناصر وشمس بدران !**
- **لماذا لم يكشف شمس أوراقه للرئيس وضحى بدفعة ٤٨ ؟**
- **« لم أر أبى حزينا ــ طوال حياتي ــ مثل حزنه على المشير عندما عرف الخبر » .**
- **وزير العدل قال لعبد الناصر فى مجلس الوزراء :**

« أجرينا تحليل أمعاء المشير لاثبات الحقيقة .. للتاريخ »

ــ ٨ ــ

كان عبد الحكيم عامر ، من أخلص أصدقاء عبد الناصر وأقربهم الى قلبه .. وليلة الثورة ، حيث الرقاب معلقة والمصير مجهول ، كان الاثنان معـا يحركان القوات ويتجهان الى مبنى القيادة .. بل كانا ــ على وجه التحديد ــ يقفان فى نفس المكان الموجود فيه الآن ضريح القائد الخالد .. يشرفان على معركة الاستيلاء على القيادة العامة وفق الخطة التى وضع ملامحها جمال عبد الناصر ، ثم كتبها تكتيكيا زكريا محى الدين بخطه .. وعدل عبد الحكيم عامر فى بعض تفصيلاتها بناء على مناقشات مع عبد الناصر .

وعندما نجحت الثورة . . وتولت الحكم وزارة على ماهر . . قام عبد الناصر بتوزيع رجال الثورة على الوزارات المختلفة بهدف « التعود » على اجراءات الحياة المدنية بقوانينها ولوائحها ذلك لأنه ادرك منذ اللحظة الأولى عدم امكان بقاء هؤلاء فى الجيش حتى لا يصبح « جيشا سياسيا » تتنازعه الأهواء لتضيع البلد ! . . لكنه أعطى لعبد الحكيم عامر منصب مدير مكتب القائد العام للقوات المسلحة .

كان عبد الناصر — كما قال لى حسن ابراهيم — شخصية فى منتهى الذكاء، وكان يعرف قدرة كل فرد وامكانياته ومن ثم كان يعطيه بقدر ما يستطيع ، وهو مثلا كان يحب البعض لكن دون ان يسند اليه مسئولية كبيرة ..

●● وقاطعت حسن ابراهيم ، متسائلا :

— هل المهم من هذا ان عبد الحكيم عامر كان أكثرهم كفاءة للتعيين فى منصب مدير مكتب القائد العام ، ثم فى ترقيته الى رتبة اللواء ليصير قائدا عاما للقوات المسلحة ؟

انتظر حسن ابراهيم — ونحن جلوس فى حديقة منزله — حتى تمر طائرة غطى صوتها على مناقشاتنا .. وبعد تعبير حنين الى سلاحه القديم ، قال :

« الحق ان تعيين عبد الحكيم قائدا للجيش ، لا يمكن فصله عن مسالتين اساسيتين .. الأولى : انه بعد نجاح الثورة ، طلب منا جمال عبد الناصر ان نقطع علاقاتنا بقواعدنا فى السلاح . لقد كان كل منا — كما تعلم — له خلايا منظمة فى الأسلحة .. يعنى مثلا البغدادى وجمال سالم وانا .. كانت لنا خلايا فى الطيران ، خالد له فى الفرسان ، كمال حسين فى المدفعية ، وهكذا .. ولذلك لم يكن من الممكن أن نستمر على نفس الحال تسندنا قواعدنا والا حدثت أمور قد تصل الى انقلاب على الثورة ، او يتكرر ما كان يحدث فى سوريا . **ولهذا كانت نظرة حكيمة من عبد الناصر ان يطلب منا التخلى عن هذه القواعد ، حتى يصير الجيش وحدة واحدة متماسكة .. ثم كان لابد بتوحيد القوات المسلحة ان يعين لها قائد عام ، وهنا تجىء النقطة الثانية : وهى ضرورة ان يكون هذا القائد العام واحدا من اعضاء مجلس قيادة الثورة . ولابد ان يكون وثيق الصلة برئيس المجلس — قائد الثورة — والا يشتم منه استغلال منصبه او احتواء الجيش لحسابه الشخصى الخاص .. مما يشكل خطورة على الثورة وقائدها** . لهذا فان جمال عبد الناصر اختار عبد الحكيم عامر ، باعتباره صديقه الوفى المخلص .. وفى نفس الوقت فان عبد الحكيم كان ضابطا جيدا ونال ترقية استثنائية فى حرب فلسطين ..

« لكن الأمر فى ١٩٦٧ ، يقول حسن ابراهيم ، اختلف تماما .. ولم يصبح عبد الحكيم عامر هو القائد العسكرى الذى يخطط ويقود معركة ..

« لقد صار عبد الحكيم سياسيا منذ ما بعد الثورة .. ودخل فى دوامة العمل السياسى ، بل ان هذا العمل استغرقه ايام الوحدة ، وبعد ذلك مارس السياسة فى مجالاتها المتعددة وتطبيقاتها ، خصوصا بعد أن أصبح نائبا اول لرئيس الجمهورية . وهنا كان لابد له أن يسند قيادة الجيش لشخص آخر .. يصبح قائدا عاما للقوات المسلحة ، يتفرغ للمسائل العسكرية .. يدرس ويخطط ويقود . لكن عبد الحكيم لم يفعل ذلك » .

* * *

مارس عبد الحكيم عامر ـــ اذن ـــ السياسة كرجل عسكرى ، ومارس العسكرية كرجل سياسى !

ومن هنا حدث الخلط .. وأيدته مجموعات من الضباط اذ كان ـــ رحمه الله ـــ طيبا ودودا ، يقرب الضباط اليه ويغدق عليهم ويلبى طلباتهم .. وكثيرا ما كان بعضهم ينادمه فى سهراته . وكان هو محبا للسهر ، وبرغم انه متزوج من سيدة فاضلة فلقد تردد خبر عن علاقته بمطربة ، ثم تأكد هذا الخبر ، أو اصبح اقرب الى التأكيد عندما عقد زواجه بالممثلة السيدة **برلنتى عبد الحميد** وانجب منها فى يناير ٦٧ ابنا أسماه **« عمرو »** .. وكان هـــذا الزواج سريا ، غير معلن ، **الى حد انها عندما كانت تطلبه تليفونيا ، ويتصادف أن يكون لديها صديقة زائرة ، او عندما يتصادف أن يطلبها هو .. كانت للتمويه تناديه بلقب « دكتور »** . بل أيضا عندما كان هو يطلبها ويرد على التليفون ـــ بالمصادفة ـــ احد غير برلنتى .. وعندما يسأل هذا **« الحد »** عن : من الذى يريد **« المدام »** .. كان يقول : **«الدكتور » !**

تلك ، ربما تبدو معلومات غير جوهرية ، فى سياق المناقشة السياسية والعسكرية ، لكنها ملامح للشخصية تحدد جوانبها المختلفة .

* * *

قالت لى هدى جمال عبد الناصر :

« كان المرحوم عبد الحكيم عامر ، صديقا لأبى .. ولربما حدثت بينهما خلافات .. لكنى لا أدعى العلم بتفاصيلها اذ كما سبق أن قلت لك .. كان أبى يبعدنا عن السياسة ، غير انه من الجائز أن

اكون قد وقفت على بعض المسائل خصوصا عندما عملت كسكرتيرة لأبى فى الفترة من سبتمبر ٦٩ الى سبتمبر ١٩٧٠ ، غير انى هنــا أعتبر نفسى سكرتيرة لرئيس الجمهورية لا يحق لى الكلام عن كثير جدا من الأمور ..

« لكنى أذكر تماما ما حدث عقب ايام الهزيمة المرة ..

« كان أبى فى ذروة الدراما : انسانيا ووطنيا وقوميا ..

●● **على المستوى الانسانى .. تضاعفت أمراضه وزاد « السكر » بشكل حاد ومخيف ، ذلك ان هذا المرض يجىء ويتضاعف من شدة الانفعالات النفسية والعصبية .. ولقد كان أبى فى قمة هذه الانفعالات** ، والأدهى من ذلك وامر — كما يقولون — انه يمتلك مقدرة خرافية على اخفاء آلامه .. **لم يكن من ذلك النوع الذى يستمرىء اظهار الآلام وخلع عذاباته على الآخرين .. انما يحبسها تحت جلده لا تظهر عليه ، ولكى يفعل المستحيل حتى يحيل ما يعتمل فى أعماقه الى شحنة من الارادة يتحدى بها المستحيل الى الممكن .. ويتجاوز الألم الى الأمل** .. وبهذا كان لايهرب أو يتهرب من أى موقف مهماعظم .. وكان هذا « التحدى » سمة مميزة فى شخصيته .. وهى مع ما تعطيه من قدرة ايجابية لتنشيط الغير ، تهدد صحته وتتحول فى دمائه وأعصابه الى وخز ابر لا يحتمل !

●● **« وعلى المستوى الوطنى .. كانت أمامه مسئولية تحرير شرف مصر ، بتحرير ترابها الذى احتله العدو ، ولقد كان أبى يدرك الحقيقة جيدا ، ان مسألة المحافظة على « مصر المستقلة المتحررة تحررا كاملا » لا ترضى القوى الامبريالية العالمية** .. ومن ثم فسوف توجه اليها الطعنات ، من كل اتجاه وبأى وسيلة لمحاولة ان تعود مصر لتركع من جديد .. ولتصبح البقرة الحلوب الموجودة على ضفتى النيل ، والتى تمتد ضروعها هناك .. بعيدا خارج الحدود ! **كان يعرف ذلك ويدركه ، لكنه بفكر الثائر الذى لم يتخل عنه برغم سنوات العمر وطول النضال وفداحة التجربة ، كان يؤمن بتحويل المستحيل** — كما قلت — الى ممكن معتمدا على الانسان المصرى بامكانياته وقدراته .. على مصر الحاضر ، وتاريخها الحضارى الممتد الى سبعة آلاف عام فى بطن التاريخ !

●● « وعلى المستوى القومى .. كان يؤمن بدور مصر عربيا ، وليس وطنيا فقط ، وان الضربة التى حدثت فى يونيو ٦٧ ، لم تصب الدولة فحسب لكنها أصابت الأمة العربية بكل ما تحتويه من مشمول قومى وحدوى ، وعلى هذا تصبح الهزيمة كارثة بقدر ما تحدثه من شروخ فى الأمة ، وتصبح الكارثة هى العدم اذا ما تحولت الشروخ الى ما لا يمكن اصلاحه !

« من هذا — تؤكد هدى على حروف الكلمات — كان عليه أن يصارع المرض ، ويصارع العدو ، ويصارع القوى الامبريالية .. مهما كلفه ذلك من جهد وتضحية الى حد أنه ضحى بالعمر كله ! ..

« المهم هذه هى الاطارات النفسية ، أو على الأقل ملامحها ، اذ انها هى نفسها كانت أضخم وأكثر استفحالا بضغوطها ، من أى كلمات أو تعبير ».

« أقول هذه هى الاطارات النفسية التى كان يتحرك فيها أبى .. ووقتها جاءت معلومات عن اتصالات تتم بالمشير عامر وهو فى منزله ، وعن طبيعة تآمرية لهذه الاتصالات ، وعن نشاط مكثف يقوم به شمس بدران معتمدا على تنظيماته فى القوات المسلحة وفيها بعض من زملاء دفعته (سنة ١٩٤٨) .. وهنا استدعى أبى ، شمس بدران لمقابلته وأخبره بتفاصيل تحركاته وقال له :

« يا شمس .. اننى أعلم انك تتحرك من خلال تنظيمك السرى فى الجيش ، وأنت تعتمد على أفراد دفعتك الذين عينتهم فى المراكز الحساسة وفى الوحدات والأفرع المختلفة ..

« وأنت تعلم يا شمس ، انه لابد من اجهاض هذه التنظيمات .. انه من غير الممكن أن تظل هذه الخلايا بعيدا عن أعين القيادة .. ومتصلة بك ، وأنت الآن خارج الخدمة !

« واننى أقول لك الصدق ، اننى لا أعلم بكل أعضائها .. لذلك اطلب منك أسماء أعضاء تنظيمك كلهم لتتم مواجهتم بأحد مرين : اما أن يقطعوا صلتهم بك ، أو يحالون الى التقاعد ..

« اننى أطلب هذا ، وأنا أعلم مسبقا احتمال رفضك بأسلوب ما . لكنى أنظر للأمر — مع الاعتبار الوطنى — نظرة انسانية . اذا لم أعرف من هم أعضاؤك بالضبط فسوف تجدنى مضطرا الى احالة كل أفراد دفعتك الى التقاعد ، تأمينا للقوات المسلحة ، وحفاظا على الوحدة الوطنية » .

واستمر عبد الناصر يتحدث ، وأستمر شمس يرد فى محاولة للتنصل من اى مسئولية ، مدعيا أنه ليست له تنظيمات .

ولقد كان شمس بدران ، يعلم على وجه اليقين ، ان عبد الناصر سوف يفصل كل أفراد دفعته ، لكنه لم يشأ أن ينقذ الأبرياء منهم ، ربما ظنا منه أن محاولة الاستقطاب التى تتم من حول المشير سوف تنجح ، « وأنهم » سيعودون من جديد للسيطرة على الجيش .. والدولة !

لهذا فشلت المحاولة .. ولم ينقذ شمس زملاؤه .. ففصلهم عبد الناصر !

* * *

ونفتح هنا قوسا لنقول ان بعضهم عاد فيما بعد الى الخدمة .. ومنهم على سبيل المثال اللواء **طه المجدوب** الموجود الآن فى الخدمة والذى وقع الاتفاقية الأخيرة للفصل بين القوات فى جنيف (١٩٧٥/٩/٤) والذى جرى تعيينه بعد فصله فى مركز الدراسات السياسية « بالأهرام » — بموافقة عبد الناصر — رغم اعتراض وتهديد سامى شرف ! .. و .. ومنهم عدد شارك مستبسلا فى حرب اكتوبر المجيدة سنة ١٩٧٣ .

* * *

ثم تتوالى الحوادث بعد ذلك ، ويستمر المشير فى تجميع الضباط حوله ويستمر نشاط شمس ، وتجىء المعلومات عن المؤامرة ..

« و .. تتضاعف آلام أبى ، وهو يرى « الأخ والصديق الحميم » يتآمر ضده .. فيرسل فى استدعائه لا ليلتقى به وحده ، وانما بحضور كبار المسئولين وقتها (الرئيس السادات ، السيد زكريا محيى الدين ، السيد حسين الشافعى) .

« كان أبى يردد قبل وصول المشير : « **بقى عبد الحكيم يعمل كده .. عبد الحكيم !** » .

« ولما جاء دخلوا جميعا فى مناقشات حادة لكنى للحق — تقول هدى — لم أسمع تفاصيل الكلام برغم انى كنت فى المكتب الملاصق .. لكنى أذكر ان ابى خرج من المكتب مرددا « **انه لا يريد أن يفهم** » ثم صعد الى حجرته فى الطابق الثانى .. وترك المشير مع كبار المسئولين الذين كانوا موجودين ليظل معهم بعض الوقت ولتحدث مناقشات اكثر حدة ! »

وتمضى الأحداث ..

« وفى يوم ١٤ سبتمبر ١٩٦٧ ، كنا فى الاسكندرية ..

كان أبى — على وجه التحديد — يتناول فنجان شاى عندما جاءه خبر وفاة المشير .. وجمد وجه أبى للحظات ، لكنه كان ينطق بحزن الدنيا كله .

« وكانت أول كلمة يتفوه بها هى أن طلب السيارة فورا .. ثم هبط يركبها متجها بسرعة الى القاهرة » .

قلت لهدى عبد الناصر :

● **اسالك سؤالا صريحا .. هل تعتقدين أن المشير عبد الحكيم عامر قد قتل أم أنتحر ؟**

قالت لى هدى بسرعة :

« فى حدود علمى انه — رحمه الله — قد مات منتحرا ، وأذكر عندما كنت سكرتيرة لرئيس الجمهورية ، انى سمعت تسجيلا لجلسة مجلس الوزراء التى عرض فيها وزير العدل — وقتها — المستشار عصام حسونة (المحامى الآن) تقريره وقد قال انه ثبت طبيا وفنيا وبعد التشريح ان المشير .. مات منتحرا !

« وقد قال أبى للوزير ، بحدة وتأثر ناجم عن حبه للمشير وصيانة لحرمة الجثمان :

— وليه التشريح ده والبهدلة .. حـرام !

ورد الوزير :

— يا فندم .. هم أخذوا جزءا من الأمعاء للتحليل .. وده لابد منه لاثبات الحقيقة .. للتاريخ » !

*** * ***

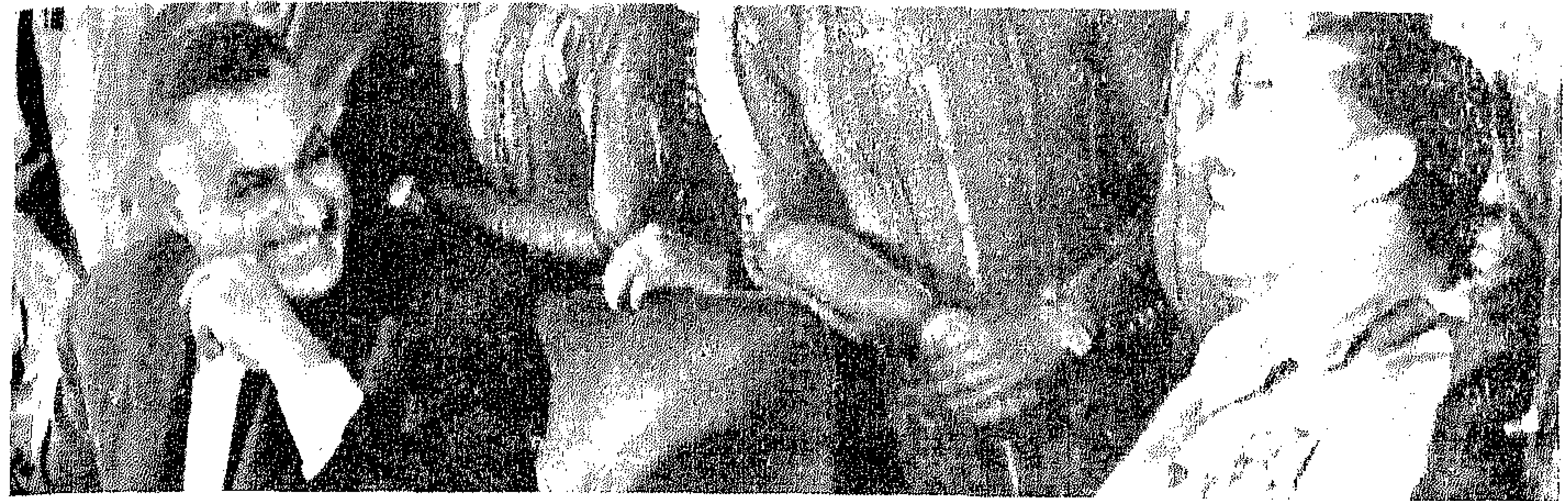
تحاول هدى أن تستعيد صورة تلك الأيام :

« لم أشاهد أبى حزينا على أحد ، مثل حزنه على المشير !

« كان حزنه ، صامتا .. ولم نكن نتحدث معه الا بالكاد .. على قـدر ما يطرح من موضوعات .. واستمرت حالة الحزن الرهيبة ...

« رحم الله أبى ..

« ورحم صديقه عبد الحكيم عامر » !



● لحظة ضحك .. مع الصديق المشير قبل الازمة ! ●



● لحظة مرح .. فى السنوات الاولى للثورة ! ●

● لحظة تفكير .. كان دائما مستغرقا فيها ! ●



- **طقم الشاى الذى آثار تحقيقا فى الرئاسة !!**
- **الجلسة الوحيدة التى حضرها عبد الناصر مع الشيوعيين لمدة ساعة .. وحسبوها عليه !!**
- **حكاية الميكانيكى وأحمد فؤاد وخالد محى الدين !!**
- **« الخاص » بالنسبة له ملك للعام .. والعام ملك للجماهير وحدها ..**

— ٩ —

انهمكت هدى فى المناقشة بحرارة الى الحد الذى فقد معه فنجان الشاى حرارته .. ! لقد انشغلت عنه بالذكريات حتى صار غير صالح .. لكنها ثبتت عيناها على الفنجان وهى تقول :

« لقد ذكرنى بحكاية طريفة وهامة !

« أنت تعلم ان رؤساء الدول يتبادلون فيما بينهم الهدايا خلال الزيارات .. وهى عادة ما تكون من الصناعة المحلية الوطنية .. ولقد كان من بين الهدايا التى يعطيها ابى للضيوف من الرؤساء منتجات صناعة الصينى ، **اذ كان ابى معجبا بهذه الصناعة مثل اعجابه واعتزازه بمختلف الصناعات المصرية** . بل انه كان لا يكتفى بنوعية الانتاج وحجمه والقوى العاملة فيه ، وانما يسأل ويستفسر ويرى بنفسه تأثير اقامة مصنع فى مكان ما على البشر المقيمين فى هذه المنطقة ومدى ما حـــدث من تغييرات حضـــارية واجتماعية ومعيشـــية .

« **قلت ، انه كان يفخر بصناعة الصينى ويقدم منها للزوار :** اطقم الشاى .. وفى مرة جاء أحد رؤساء الدول ، وتقرر اهداءه « طقما » وأبلغ المختصون فى الرئاسة لتجهيز الهدية .. غير انه لسبب ما — ربما هو الدقة المتناهية فى الترتيبات — طلب منى أبى ، بصفتى سكرتيرته ، قبل موعد تسليم الهدية بساعات قليلة ، أن اذهب لأطمئن على وجودها واعدادها .. **وعندما ذهبت**

لقيتني مفاجاة مذهلة ! . لقد كانت فى « طقم الشاى » مجموعة من العيوب اقلها عدم انتظام استدارة الفناجين بشكل مخجل !

« وبالطبع عرف أبى ، وأجرى تحقيقا عاجلا ، ليتبين أن المصنع المختص ينتج كمية خاصـــة ـــ بأعلى درجات الكفاءة والقدرة ـــ لحساب رئاســة الجمهورية سواء لاستخدامها أو لاعطائها كهدايا .. ولقد كان يوجد بالفعل احتياطى من هذا الانتاج فى الرئاسة غير انه فرغ ومن ثم أسرع أحد الموظفين ليشترى هذا الطقم ، دون أن يعرف بالطبع عيوبه .. ربما لأنه لم يتصور ان متجرا ضخما يمكن أن يبيع مثل هذا .. وان البائع يمكن أن يغش مندوب الرئاسة ! .. او ربما لم يتصور أن المصنع أصلا ينتج بهذه الرداءة ! » .

الى هذه الدرجة .. تكون المداراة ؟ !

الى هذه الدرجة ، تتلون الحقيقة أمام الرئاسة ؟ !

الى هذه الدرجة ـــ تقوم الأجهزة الوسيطة بصنع عازل بين الرئاسة وبين القواعد .. مما يفرز فى النهاية ضررا بالغا يسىء الى الطرفين .. والى الرئاسة !

« اذكر أيضا ـــ تضيف هدى عبد الناصر ـــ انه عندما أصيب أبى بالسكر ، وكان يتحاشى اكل الحلويات فيما عدا قطعة شيكولاته صغيرة يلتقطها اذا تصادف أن رأى علبة منها فى المنزل خصوصا عندما يكون أحفاده موجودين ! اذ انه كان يحب الشيكولاته ويتذوق طعمها !

« عندما أصيب بالسكر ، وزادت مضاعفاته .. وقرر له الأطباء نوع المربى ـــ التى بلا طعم ـــ والمكرونة التى تشبه الجبس ! ـــ قال ان فى مصر مرضى كثيرين بالسكر ، ومعظمهم ليست أديهم القدرة والوسيلة على شراء هذه الأنواع الأجنبية فلماذا لا تقوم شركة مصرية بصنع مثيلا لها . ؟ وبالفعل اتصل بالمسئولين للبحث والتنفيذ .. وقد ظهرت نتائج ذلك ، هذه الأيام بعد ٥ سنوات من رحيل ابى » .

ان هذه الطلبات التى طلبها عبد الناصر ، ليست الا نماذج بسيطة لأشياء اكبر وأهم .. وان كان حل مشاكل الجماهير ، وتوفير الخبز والطعام ـــ

للأصحاء والمرضى ، يحتل لديه المرتبة الأولى ، ذلك انه اذا كانت الثورة هى علم تغيير المجتمع .. فان ركيزة هذا العلم هى خدمة الانسان ! .

ولقد كانت هذه الخدمة هى الهدف المحورى لعمل عبد الناصر ، يكرس لها حياته كلها بغير فصل بين الخاص والعام !

ذلك لأن كل « خاص » له كان ملك « العام » ، فى حين أن « العام » كان — فى معتقداته وممارسته — ملكا للجماهير ..

* * *

يروى حسن ابراهيم انه لم تكن لدى عبد الناصر دقيقة فراغ يعتبرها خاصة به ، فكل وقته لحساب العمل الوطنى يؤديه بدعب ، وصبر ، وذكاء .. وهذا هو طبعه منذ أن عرفته سنة ١٩٤٦ ..

« فى تلك السنة كان التنظيم السرى فى الطيران الذى أنتمى اليه قد حل نفسه اثر احداث واضطرابات وتحقيقات .. وفى يوم جاءنى عبد المنعم عبد الرءوف — أحد ضباط الجيش الأحرار — وكان صديقا لى .. وتحدث معى ثم قال ان هناك تنظيما فى الجيش يراسه الصاغ جمال عبد الناصر .. وانه — أى عبد الناصر — يحتاج الى ضابط وطنى من الطيران يضمه الى التنظيم .. وسالنى عبد المنعم عما اذا كنت موافقا فابديت ترحيبى .. ثم جرى ترتيب لقاء مع جمال ، ومن يومها صرت واحدا فى خليته الأولى وجندت لها اثنين من الطيران هما : عبد اللطيف البغدادى وجمال سالم ..

« من ذلك اليوم سنة ١٩٤٦ ، وانا على علاقة مستمرة ودائمة به ..

« واذكر اننا كنا نندهش منه ونعجب به فى ذات الوقت ، اذ كان مختلفا تماما عن الشباب فى مثل عمره (٢٨ سنة وقتها) .. فلم يكن يدمن شيئا او حتى يتعاطى لمجرد الترفيه كما يفعل البعض .. ولم يكن يسهر كعادة اترابه فقد كانت « السيجارة » هى فقط متعته . وكانت هوايته التى يعطيها كل وقته تتركز فى العمل الوطنى : سواء فى توسيع دائرة تنظيم الضباط الأحرار ، او تعميق المفاهيم السياسية ، والاعداد للتحركات التكتيكية بانتخاب افضل الظروف والامكانيات تمهيدا للهدف الاستراتيجى الرئيسى وهو الثورة ..

« كان هذا العمل هو طعامه وشرابه ومتعته .. لا يكل ولا يهدأ ليل نهار .. والمهم انه يفعل ذلك وفى نفس الوقت ينجح ويبرز فى مسئولياته الأخرى .. فى العمل مثلا كضابط ، وفى البيت كزوج ورب أسرة .. وكان يتمتع بذكاء حاد ، يفكر بسلامة ،ويقرر بجرأة ، ويتحسب لكل احتمال .. ويقود المجموعات كلها ، هو الوحيد الذى يعرف الأعضاء ، فى حين أن الآخرين لا يعرف كل منهم الا عدد محدود .. وكما قلت لك ، كان هو يقيس قدر كل فرد .. فمثلاكان يقدر أحد الضباط الأحرار المشتركين فى التنظيم بدور كبير ، لكنه لم يخبره بتحديد ساعة الصفر ليلة الثورة ! .. لماذا ؟ لأن هذا العضو كان على صلة قرابة متينة وصلة مستمرة تقريبا .. بصحفى كبير وقتها ، وكان العضو يخبر قريبه بتفاصيل كثيرة .. ومن ثم خشى عبد الناصر — ومعه حق — أن « يفلت » لسان العضو أمام قريبه الصحفى!.

● **قلت لحسن ابراهيم :** خطر لى أن أسألك عن علاقة الضباط الأحرار بالحزب الشيوعى ، ان هناك رواية وردت على لسان البعض بأنكم كنتم على صلة بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) وان هذه الحركة كانت تقوم باعداد المنشورات لكم ، وبلورت أهداف الثورة الستة .. أى عملت بالتنظيم الثورة وساهمت فيه بدور كبير ؟؟

●● **قال حسن ابراهيم : « هل قالوا هذا الكلام ؟ .. ومن هم ؟**

« ان الموضوع له شقان :

١ — **كان يوجد فى التنظيم اثنان من الشيوعيين :** أولهما خالد محى الدين الذى كان عضوا فى اللجنة التأسيسية ثم فى مجلس الثورة ، وثانيهما يوسف صديق منصور الذى كان عضوا منظما فقط وليس عضوا فى اللجنة التأسيسية .. ثم دخل مجلس الثورة فى نهاية عام ١٩٥٣ تقديرا لدوره ليلة الثورة . هذان فقط كانا من الحزب الشيوعى ، على أن جمال عبد الناصر — بتقديره السليم — وحتى لا يجرى استقطاب عملنا لجهة ما ، وحتى يبعد من أهواء الأحزاب ، ولا نصبح موزعين بين هذا وذاك حسب انتماءات كل منا .. طلب قبل تنفيذ الثورة أن نقطع أى صلة لنا بأية تنظيمات أخرى .. وأصر على أن يفاضل كل ما بين السير مع الضباط الأحرار الى نهاية الشوط

أو تركه لينتمى الى حزب آخر . ولهذا مثلا خرج عبد المنعم عبد الرءوف ــ الذى عرفنى بجمال عبد الناصر ــ لأنه فضل الاستمرار مع الاخوان المسلمين ، ومن ثم فان بقاء خالد ويوسف معناه قطع صلتهم بالحزب الشيوعى !

٢ ــ **لم تكن لجمال عبد الناصر ، أى صلة بالشيوعيين** ، وكل منا هناك انه كشاب وطنى كان يسعى للتعرف على الاتجاهات والتيارات الموجودة ، فكان يتصل بها لفترة محدودة جدا حتى يدرسها عن قرب ، ومن داخلها دون اكتفاء بالسمع .. وخلال ذلك الوقت كان على صلة بأحمد فؤاد ــ رئيس بنك مصر حاليا ــ وحدثه فؤاد عن خلية الحزب الشيوعى المنضم اليها حتى يزامله فيها .. وفعلا ذهب جمال عبد الناصر حيث حضر اجتماعا للخلية لمدة ساعة واحدة فقط .. وكان يرأس الاجتماع والخلية عامل ميكانيكى !

« وأذكر ــ يستمر حسن ابراهيم ــ ان عبد الناصر عاد بعدها ، وخلال اجتماع لنا .. أخذ يتهكم على « خالد محى الدين » بسبب ما دار فى اجتماع الخلية من مناقشات عقيمة .. وبسبب رئيسها الذى لم تكن لديه أى فكر أو مفهوم سياسى وكان عبد الناصر يقول لخالد : « بقى تسيب نفسك لواحد ميكانيكى يعلمك السياسة ويقودها فى العمل الوطنى .. صحيح فيه عمال متنورين وواعيين .. والعمل ــ مهما كان ــ مش عيب انما شرف ، لكن : هل الميكانيكى ده هيديك دروس ، علشان تعمل ثورة ؟!

« **أما حكاية المنشورات ــ** يقول حسن ابراهيم ــ فقد كنا نطبعها تباعا لدينا نحن أعضاء التنظيم وليس فى مكان آخر ! كنت مثلا أطبعها فى شقتى التى كنت أقيم فيها هنا بمصر الجديدة ، أضع الماكينة « الرونيو » فى الحقيبة الخلفية لسيارة زميل لى ، وتظل معنا يومين ، ننتهز وقتا ما لنحملها الى الشقة للعمل ثم ننزل بها الى السيارة نلف بها وهكذا .. حتى تنقل لزميل آخر ، حمدى عبيد مثلا أو غيره أو غيره .. لأننا كنا حريصين على السرية التامة . وعلى أن لا نظل الماكينة وقتا طويلا فى مكان واحد حتى لا يلاحظ أحد صوتها .. أو تصل « اخبارية » للسلطة فيفتضح أمرنا .

« لهذا كله فاننى أؤكد عدم وجود صلة بين تنظيم الضباط الأحرار ، وأى حزب آخر ، ولا دخل لأى جهة فى تحرك هذا التنظيم وعمله .. لا قبل الثورة ولا ساعة قيامها ولا بعد تفجرها ..

« كذلك فان الأهداف الستة للثورة ، كانت بلورة لأهداف الضباط الأحرار ولتنظيمهم . كان حرصنا أن تكون مصر حرة مستقلةيملك الشعب فيها مقدراته بيده ، بلا سيطرة من الخارج أو الداخل .

« لقد كان هذا هو حرصنا ، وهو حرص جمال عبد الناصر الذى قاد الثورة بنجاح ، وقاد مصر وأمته العربية بنجاح ، برغم اختلاف معه ، وتحفظات لى على بعض قراراته ..

« لكنه — رحمه الله — باستقراء انجازاته .. وكما كان يخطط وسمعت منه شخصيا ، كان يحلم أحلاما عظيمة لمصر ..

« كان يريد أن يحولها الى جنة يرفل فيها الانسان سعيدا .. »

* * *

اذن ما الذى منع عبد الناصر من صنع الجنة ؟

هل هى المعركة .. بالتاكيد !

هل هم المعاونون .. بالقطع !

طيب ، اذا كانت المعركة — فى سبب جوهرى لها — حصاد الداخل بكل ما فيه من فكر وبشر ..

واذا كان هذا «الداخل» **هو سلوك المعاونين .. وانحرافاتهم ، واذا كان عبد الناصر قد تخلص من بعض معاونيه عامى ٦٧ و ٦٨ وسماهم** « مراكز القوى » **، واذا كان الباقون الذين استمروا قد انحرفوا .. فماذا فعل هو ازاء انحرافاتهم ؟**

* * *

يخيل الى ، انه لابد أن ناخذ واقعة انحراف جوهرية .. ونتتبعها من الألف الى الياء ، على أن ندعمها بالوثائق حتى يكون حوارنا مرتكزا الى حقائق مادية .. قلت لهدى : اليس ذلك كذلك ؟ !

● وثائق « الانحــراف » !

● حاتم صادق يروى كيف جرت عمليات التزوير فى انتخابات الاتحــاد الاشتراكى ! ودوره هو وهيكل وثروت عكاشة !

● سامى شرف استدعى حاتم ــ قبل أن تجف دماء عبد الناصر ــ ليسأله عن الوثائق !

● جمال عبد الناصر يقول :

« بقدر حجم ضربة ٦٧ .. لابد أن يكون حجم التغيير »

ــ ١٠ ــ

جلسنا « ندردش » فيما قبل الحوار الجدى .. فى شئون مختلفة نهضم بها « أكلة الافطار » التى نقبل عليها عادة بنهم شديد .. كان من قواعد الصوم أن تمتلأ المعدة حتى تتمزق أو تكاد .. أو .. كان هذه آخر « أكلة » فى عمر الانسان !

ودارت بنا المناقشة ودرنا بها .. بينما كانت أمامنا أكواب العصير .. وراديو صغير جعل هدى جمال عبد الناصر ، تتذكر حكاية عجيبة !

« كان أبى ــ كما قلت لك ــ يحرص على أن يعرف الشىء من مصــــادره الأصلية ، ومن ثم فلقد كان حريصا على متابعة أدوات الاتصــــال وأهمها الصحف والاذاعة .. كان يقرأ الصحف بنفسه سواء كانت عربية أو أجنبية، وربما لهذا درست أنا اللغة الفرنسية حتى أتابع الصحف الناطقة بها وأعرض عليه ما يجىء فيها خلال عملى كسكرتيرة للرئيس .. أما الاذاعة فان « الراديو » كان دائما الى جواره .. دائما « مفتوح » سواء كان يقرأ أو يكتب ، الى حد اننا اذا لم نسمع الراديو فى غرفته .. نعرف على الفور أنه قد نام !

« وعندما كان ابى يسافر الى الخـــارج .. كان حرصه على ســـماع « الراديو » يزداد خصوصا اذاعة القاهرة ليعرف الأنباء .. وليسمع بالذات صوت القاهرة .

« ولهذا فان خلال زيارته السرية لموسكو أوائل سنة ١٩٧٠ للاتفاق على بناء شبكة الصواريخ .. أخذ أبى فى الصباح وفى المساء ــ طبقا لعادته ــ يحرك مؤشر الراديو بحثا عن صوت القاهرة بلا جدوى ، وفتح مجلة الاذاعة التى كان يأخذها معه لمعرفة الموجات التى تبث عليها الاذاعة .. وتأكد منها .. وعاد يحرك المؤشر لكن أيضا بلا جدوى ! .

« **واحتار أبى** ــ كما عرفت منه بعد ذلك ــ **وسأل واستفسر** .. وعاد الى القاهرة ــ ولقد كانت زيارته على أية حال قصيرة ــ **ليفاجأ** بعد التحقيق الذى أجراه بنفسه هناك وهنا ، ان : اذاعة مصر لا تصل الى هذه البلاد البعيدة الا بصوت خافت جدا ..اذن لماذا كان يسمعها من قبل وفى زياراته الأخرى بوضـــوح ؟

« **ان السبب فى هذا ــ كما كشف التحقيق ــ بسيط جدا ، وهو أن المسئولين عن هذا القطاع الاعلامى كانوا يعرفون سلفا برحلاته ســواء الى الاتحاد السوفيتى أو غيره ، وبناء على ذلك كانوا يعملون على تقوية الارسال وتوجيهه بحيث تسمع الاذاعة بوضوح فى الدولة التى يزورها .. أما هذه المرة فان الزيارة كانت سرية .. فلم يعلم أحد .. وبالتالى ظل الارسال كما هو غير مسموع !! »**

* * *

ما الذى يمكن أن نستخرجه من هذه الحكاية ؟

وهل يمكن أن نخلع صفة « الانحراف » عليها !

أم نكتفى بالقول انها مداراة من المسئولية ؟

وما هو الفرق بين المداراة والانحراف . أليس بسبب الأولى تحـــدث الثانيـــة ؟

ربما من هذا السبب ، يقول حاتم صادق ، أن « الريس عبد الناصر » كان يهتم جدا بالمناقشة وبأية آراء أو اقتراحات أو شكاوى تصل اليه ..

وكان يرحب جدا بالانتقاد على عكس الصورة التى تحاول رسمها له بعض العناصر الموتورة .. « واذا أردت كما سمعت منك أن تأخذ واقعة انحراف معينة ، فأعتقد أن واقعة انحراف انتخابات الاتحاد الاشتراكى سنة ١٩٦٨ ، نموذجاحيا صالحا ، لعدة أسباب :

١ — ان جمال عبد الناصر بنفسه قد أقر بوقوع انحراف ودون نقاط عنها بخط يده .

٢ — أن أنور السادات ، قد أشار الى هذه الانحرافات أكثر من مرة ومنها المرة التى تحدث فيها عن سرقة خزانة مكتب عبد الناصر التى كانت تحوى أوراقه .

٣ — انه قدر لى أن أكون واحدا من الذين عاصروا هذه الواقعة (الانحرافات) وشارك فى كشفها ، اذ اننى كنت أحد ثلاثة مضادر رفعوا الى « الريس » بيانات عن الانحراف وكيفيته وأساليب مراكز القوى فى ذلك . وهذه المصـــادر يمثلها : محمد حسنين هيكل — ثروت عكاشة — وأنا ! وربما تكون هناك مصادر أخرى لكنى لا أعرفها .. » .

* * *

ثم بدأ حاتم صادق يشرح :

« تبدأ قصة الانحرافات التى وقعت فى انتخابات اعادة بنـــاء الاتحاد الاشتراكى العربى عام ١٩٦٩ ، الى الشهور التى أعقبت نكسة يونيو ١٩٦٧ ، وما جرى خلالها من محاولة عبد الحكيم عامر وشمس بدران للاستيلاء على السـلطة .

« فعلى مدى شهور طوال كان تفكير جمال عبد الناصر مركزا فى موضوعين رئيســيين :

● **الأول** : اعادة بناء واعادة تنظيم القوات المســلحة المصرية بسرعة وكفاءة .

● **الثانى** : التغيير الشامل فى الأوضاع الداخلية .

« وكان جمال عبد الناصر يربط ربطا كاملا بين متطلبات البناء العسكرى ومتطلبات البناء الداخلى فى تحليله الشامل ، والعميق لنكسة يونيو ١٩٦٧ .

« ورغم الجرح العميق الذى أصابه بنكسة يونيو ١٩٦٧ فقد كان واثقا من قدرته على ان يعلو فوق الآثار النفسية لهذه الهزيمة ، ليظل فكره يعمل من الواقع القائم وبنظرة تمتد الى المستقبل الذى يتمناه .

« وكان جمال عبد الناصر يشعر بأن هزيمة يونيو ١٩٦٧ ليست حادثا عابرا أصاب القوات المسلحة لأسباب كانت كامنة فيها . كان يقول :

« ان القوة العسكرية لدولة هى المرآة التى تعكس أوضاعها الداخلية . لقد جاءت هزيمة يونيو مفاجئة ، ولكن لا يجوز لنا أن ننظر — لتلافى تكرارها ولازالة آثارها — ان ننظر فقط الى الجيش . ان الهزيمة العسكرية لدولة من الدول تكون هى الناقوس الذى يدق لكى يجرى التغيير الشامل فيها . وبقدر حجم الضربة فى ١٩٦٧ ، يجب أن يكون حجم التغيير بعدها » .

« وكعادته ظل جمال عبد الناصر يفكر طويلا وبعمق .. كان يضع فى اعتباره القيود التى كبلت بها يدا مصر عقب نكسة ١٩٦٧ : قدرة عسكرية عند الصفر أو هى دونه ، تفوق عسكرى كاسح على الجانب الآخر من خطوط المواجهة ، شرخ أصاب المجتمع بسبب الهزيمة وجعل اعادة تقييم كل مواطن لكل القيم والمبادىء السياسية .. عملية طبيعية تجرى فى الأذهان والجو النفسى السائد يساعد — بحكم طبيعة الأمور — على التشكك فى كل شىء حتى ما هو سليم وصحيح .

« وفى اطار هذه القيود كان عليه أن يعبر البناء .. بغير هزات تحول الشرخ الى كسر والكسر الى انهيار ! .

« **بخطى وئيدة ولكن نتائجها سريعة** ، كان عليه أن يتحرك بخطوات متأنية ولكن واثقة .

وتبلور كل فكر عبد الناصر بعد طول تفكير وطول معاناة : وخرجت طاقاته الفكرية مبدعة وقدم الى الشعب بيان ٣٠ مارس برنامجا للبناء السياسى والعسكرى ..

« وكانت آمالا كبارا تلك التى علقها على البيان ..

« أراد — لظروف المعركة الضارية — أن يضع بذرة التغيير الداخلى

ليرعاها رويدا رويدا الى جانب مسئولياته كقائد أعلى للقوات المسلحة . وصدر البيان وتضمن الكثير من أمنياته .

ولكن جمال عبد الناصر كان يعرف أن المدخل الى التغيير الشامل هو اعادة انتخابات الاتحاد الاشتراكى من القاعدة الى القمة .

كان يقول : « **أريد وجوها جديدة .. دما جديدا .. شبابا مؤمنا متحمسا متطلعا .. لا قيد على حركته الا ايمانه بوطنه وثورته وبحتمية المعركة** » .

ولمزيد من الحرص قرر تشكيل لجنة الخمسين للاشراف على الانتخابات ويومها قال : أريد لجنة أمينة .. لجنة تمثل مستقبل الاتحاد الاشتراكى ولا تمثل ماضـــية » .

« وكان جمال عبد الناصر يتحدث كثيرا فى تلك الفترة عن آماله . فى مجلس الوزراء .. فى اللجنة التنفيذية العليا .. وقد أتيح لى وقتها أن أطلع على ما دار فى تلك الفترة بحكم عملى بالقرب منه فى مكتب الرئيس للمعلومات.

« **كان يتحدث ويستمع ويناقش .. ساعات طوال .. وكنا نعلم كم يتألم جسمانيا فى هذه الساعات .**

« فى تلك الفترة وقبل أن يتلقى العلاج الطبيعى فى « سخالطوبو » بالاتحاد السوفيتى .. كانت آلام رهيبة ، يعانيها فى ساقيه .. **كان لا يستطيع الجلوس طويلا .. ولا المشى طويلا .. ولا الرقاد طويلا .. !!**

« **وأضيفت الى آلامه النفسية آلام البدن .. ولكن ظلت الارادة .. أقوى وأجمل ما فيه .. كان يجلس فى اجتماعات الســلطة التنفيذية ، والأجهزة الشعبية ساعات وساعات .. كان يركز بكل ارادته فى النقاش لينسى الآلام ..**

« وكان جمال عبد الناصر يعود الى منزله مرهقا . ولكنه لم يكن الرجل الذى يظهر ألمه .. كان يجد أكوام الأوراق أمامه ، فكان يستمر فى العمل حتى ساعات الفجر ، ثم ينام ويصحو على التليفون يدق مع الســاعات الأولى فى الصــباح .

« لقد كان جمال عبد الناصر دائم التفكير فى تلك الأيام ـــ فى المستقبل ـــ

مستقبل مصر .. وفى أوضاعها الداخلية بالتحديد . كان يريد أن يضع بذور المستقبل لمصر كما يأمله لها .

●● كان يريد لها الأمن فى الداخل .

●● كان يريد ارساء تقاليد الوصول الى السلطة ..

●● كان يريد تأمين الجبهة الداخلية من بعده ..

●● كان عبد النـــاصر وقتها يقاسى صراعاً بين الألم والارادة .. آلام النفس والبدن ، وارادة التغيير مهما كان الثمن .

« ولم يتركه القدر فى هذا الصراع بغير مزيد من الآلام : توفى والده ثم توفى عمه .. وقتها كان جمال عبد الناصر فى أسوان مع الرئيس تيتو . وسافر تيتو ، وقرر عبد الناصر أن يبقى يومين فى أسوان يستريح خلالهما . وفى يوم أجازته الأولى فاجأه نبأ وفاة عمه .. فسافر بكل الإرهاق من أسوان الى الاسكندرية مباشرة ..

« فى الاسكندرية جلس لحظات مع أخويه : الليثى وعز العرب عبد الناصر . وبعد صمت طويل شرد خلاله ذهنه .. سأل أخويه فجأة : **« بموت العم انقضى آخر من كان ينتمى الى الجيل الذى سبقنا فى العائلة ..** وجاء الآن دورنا : **ترى على من فينا سيكون الدور فى المرة القادمة ؟ »** .

« سؤال يبدو عابرا لأول وهلة .. ولكنه ــ لمن عرف عبد الناصر عن قرب ــ كان تعبيرا عن مشاغل كبيرة .. »

* * *

ويسكت حاتم وتملأ **هدى عبدالناصر** فراغ الصمت لتقول ان هذه المشاغل التى كانت تستغرق أبى هى : المعركة والتغيير الداخلى . ومن ثم فانه بعد بيان ٣٠ مارس ، أجرى انتخابات الاتحاد الاشتراكى العربى ، غير أنها لم تتم كما أراد .. وانما تدخل البعض فيها وكانت للتكتلات دورها فى انحرافات الانتخابات أو ــ دعنا نسميها صراحة ــ فى عمليات التزوير التى وقعت !

« ولقد كان أبى ــ تؤكد هدى ــ حريصا على أن يعرف كل شىء ..

وكان يجمع مستندات هذا التزوير تمهيدا لتغيير شامل ، وفيما أعتقد فان جزءا من هذه المستندات كان فى خزانته التي سرقت — بعد رحيله بقليل — على النحو الذى عرف وقتها ! » .

* * *

« سيادة الرئيس :

تحية واحتراما وبعد ،

١ — حدث منذ اشهر اننى اديت واجبى كمواطن مخلص لوطنى ولثورة يوليو ، وأبلغتكم بان هناك تقريرا للراى العام لم يرفع وانه احتجز فى مكتب السيد / وزير الارشاد القومى (محمد فائق) لاسباب غير واضحة .

٢ — يبدو ان السيد / محمد فائق قد علم بهذا الموضوع . واقول ذلك بطريقة جازمة لان هذا هو ما يتضح من تتبع التطورات الاتية :

(ا) بدا السيد / محمد فائق — فور ابلاغ سيادتكم بهذه الواقعة — باستدعاء كل من السيدين : محمد عبد العظيم ووجيه ضياء الدين وهما الزميلين من دفعتى اللذين يعملان فى مكتبه ، ومصدر هذه المعلومات التى ابلغها لسيادتكم وثبتت صحتها فيما بعد ، وقال لهما انه سيوكل الاعمال الادارية كلها التى يقومان بها الى شخص ثالث فى مكتبه . وقد وضح فى حينه ان العملية هى بداية تجميد لهما وتخلص منهما ، ورغم ذلك طلبت منهما عدم القفز الى « النتائج » لان الفيصل فى تفسير هذه الخطوة هو ما اذا كان السيد / محمد فائق سيستمر فى ترك اعداد تقرير الراى العام لهما كما كان من قبل ام لا ؟

(ب) لم تمضى ايام حتى سحب السيد / محمد فائق منهما اختصاصهما الفنى : وهو اعداد تقارير الراى العام التى يقوم بها السيد / محمد عبد العظيم ، وتقارير محذوفات الرقابة والمراسلين الاجانب التى يقوم بها السيد / وجيه ضياء الدين . وجدير بالذكر انه لم يتم سحب هذه الاختصاصات منهما لعدم كفاءتهما فى العمل لان هناك تأشيرات عديدة بخط يد السيد / الوزير يشكر فيها السيد / محمد عبد العظيم على مستوى عمله فى اعداد تقرير الراى العام .

(جـ) استدعاهما السيد / محمد فائق وذكر لهما أن موضوع اسرائيل هام جدا وانه يفكر فى اقامة مركز ابحاث فى الوزارة عن اسرائيل لاهميته القصوى ، واسند اليهما هذا العمل حتى لا يتركهما بدون اى واجب يفعلونه .

(د) استدعاهما بعد ذلك مدير مكتب السيد / محمد فائق وقال لهما ضمن حديثه: « تبقوا تنسقوا بقى مع حاتم فى موضوع اسرائيل » ! ولم يكن معنى ذلك خافيا عليهما خاصة وانهما لم يذكرا اسمى أمامه أبدا .

(هـ) فى حديث للسيد محمد فائق بعد ذلك معهما حول عمل المركز أعاد ثلاث مرات قوله بضرورة تتبعهم فى دراستهم لاسرائيل لمشكلة « الولاء المزدوج » ! ومرة أخرى لم يخفى عليهما انهما المقصودان بهذا التعبير .

(و) قرر السيد / محمد فائق أخيرا أن يسافر احدهما وهو السيد / وجيه ضياء الدين الى تنزانيا للعمل هناك . ولما ساله الاخير عن مصير مركز الابحاث عن اسرائيل كانت الاجابة هى الاصرار على سفره . وقد سبق أن اثار السيد / محمد فائق معهما موضوع السفر من قبل ، وكانت وجهة نظرهما انهما لا يفضلان ترك مصر فى الظروف الحالية .

٣ ــ يتضح من كل ما سبق أن العملية هى عملية تجميد لهما ثم ابعادهما من مكتبه . فحتى لو أحسنا تفسير سحب كل اختصاصاتهما لاقامة مركز للدراسات عن اسرائيل ، فان هذا التفسير الحسن النية لا يستقيم مع اجراء السفر المفاجيء لاحدهما . وهو الاجراء الذى يؤكد ان موضوع مركز الدراسات لم يؤخذ بجـدية وانما كان مجـرد وسـيلة .

٤ ــ والجدير بالذكر أن السيد / محمد فائق ــ قبل ابلاغكم بواقعة تقرير الراى العام ــ كان كثيرا ما يتعمد أن يشكر فى هذين الزميلين عنه مقابلته لى ، وكان يشـيد بكفاءتهما .

٥ ــ اسمحوا لى يا سيادة الرئيس أن أعرض فكرى باخلاص أمامكم ، والخصه فى النقاط التالية :

(أ) ان هذين الزميلين لم يستغلا يوما معلومات عملهما لايصالها لى .

(ب) فى موضوع واقعة تقرير الرأى العام كان دافعهما هو شعورهما برد الفعل الجماهيرى لما حدث فى الانتخابات من انحرافات وخطورة . ولما فشلا فى اقناع « المسئولين » برفعه ، لجأ الى احساسا من جانبهما بأن الواجب يفرض عليهما . ابلاغ زعيم الثورة التى يؤمنون بها بواقعة خاطئة حدثت .

(جـ) ان ما حدث من السيد / محمد فائق ــ والمفروض فيه أنه من اقرب

المسئولين لكم — لا يوصف الا بأنه ممارسة للارهاب . واذا حدث ذلك منه ، فأستطيع أن أتصور ما يحدث لمئات بل آلاف الشباب على يد غيره من المسئولين !

(د) اننى أشعر — بصراحة — أنه لولا خشية السيد / محمد فائق من طردهما من مكتبه لاتصالهما بى ، وبالتالى احتمال معرفة سـيادتكم لذلك ، لما تأخر .

(هـ) تجربة كهذه يا سيادة الرئيس ، والتجارب العديدة غيرها ، تجعل المرء يتساءل عن حقيقة شعور الشباب والمواطنين الذين يعانون من مثل هذا الاسلوب ، حين يسمعون خطابات سيادتكم عن الحرية والنضال من أجل فرض ما يراه كل مواطن حقا وعدلا . ولقد قابلت شبابا فى الجامعات ، وقالوا لى بصراحة انهم لم يعودوا يثقون فى شعارات ثورة ١٩٥٢ ، أو — كما أسموها — اسطوانة الحرية لسنة ١٩٥٢ ، لما يرونه من تناقض بين المثل وبين الواقع . وليس ذلك غريبا اذا كانت مثل هذه التصرفات يلاقيها الشباب أو تروى لهم من أقاربهم .

(و) لست أستطيع أن أتخيل كيف يمكن أن يكون شعورى حين أحارب لمجرد أننى أقول ما أؤمن به أن هذا كفيل باشعار المرء باليأس ، وهو شعور غاية فى الخطورة فى رأيى ، لأن الانسان لا يظل مرتبطا بنظام معين الا اذا رأى فيه أملا فى مستقبل أفضل .

٦ — ان هذين الشابين قد حوربا لمجرد انهما ابلغا شيئا لكم ، أى لرئيس الجمهورية وقائد الثورة . وأن هذه التصرفات التى لاقوها تطرح عدة تساؤلات :

(أ) هل أبلغوا هذه المعلومات لجهة ما كان مفروضا ابلاغها بها ؟

(ب) هل الولاء للفرد — أى فرد على طول سلم السلطة فى الدولة — يجب أن يسبق الولاء للبلد والثورة ؟

(جـ) أم أن كل مسئول يظل ثوريا ووطنيا ومتمسكا بالمبادىء البراقة للنقد والنقد الذاتى الخ ... الى أن يصل شخص الى اثبات خطأ هذا المسئول ، فينسى هذا الاخير ثوريته ووطنيته ويصبح كل همه هو اسكات كل هذه الاصوات التى يمكن أن تشوه الصورة البراقة التى رسمها لنفسه أمام رئيسه ؟ حتى لو كان ذلك على حساب رئيسه وبلده ؟

٧ — ان مثل هذا الأسلوب كفيل فى حد ذاته بأن يفقد كل مواطن شعوره بالأمان . واذا اقترن هذا الشعور باليأس — الذى مضت الاشارة اليه — فماذا يظل للانســـان من أمل يعيش من أجله ؟ أن هذا يوصل الانســـان الى أحد احتمالين : اما أن يصبح خانعا ويتحول الى مواطن منافق ضرره أكثر من نفعه ، واما أن يتحول اليأس لديه الى ثورة .

٨ — وتدليلا على الشعور بعدم الأمان ومداه ، فلقــد جاءنى يوما احد المواطنين من دمنهور متطوعا ، وكان عضـــوا فى لجنة للفرز أثناء العملية الانتخابية الأخيرة وأبلغنى بما رآه ضروريا من معلومات ، عن الانحرافات والتزوير فى الانتخابات . وفى نهاية حديثه طلب منى عدم ذكر اسمه على التقرير . ولمــا أبلغته بأن سيادتكم وحدكم ستقرءون التقرير أصر على طلبه . ولم أملك الا أن أجيبه فيما أراد . ورفعت لكم التقرير فعلا دون ذكر اسمه .

٩ — لذلك كله دلالة من وجهة نظرى . ان المواطن — أو بعض المواطنين على الأقل — أصبح غير آمن على نفسه ومستقبله اذا أدى واجبه بأمانة . وعدم الأمان ليس مصدره ان التقرير يرفع لسيادتكم ، ولكن سببه هو خشية المواطن مما يمكن أن يناله من المسئولين الذين يقفون بين المواطن العادى وبينكم والذين أتوا الخطأ ويهمهم عدم اكتشافه .

١٠ — تلك كانت مشكلة رأيت واجبا على عرضها عليكم ، ليس فقط لانهــا تخص زميلين لى يحتم على الواجب الوقوف الى جانبهما فى اقسى الظروف النفسية التى يواجهانها ، ولكن لانها — قبل ذلك — مشكلة عامة تخص شـــعور المواطن المصرى اليوم وبعد سبعة عشرة عاما من ثورة يوليو ١٩٥٢ .

مع وافــر الاحتــرام »

توقيع : حاتم صـــادق

١٤ مارس ١٩٦٩

* * *

هذه كانت نص احدى المذكرات التى رفعها حاتم صادق الى جمال عبد النـــاصر حول وقائع الانتخابات والتى تكشفت بعــد وقوعها . وزيادة فى مواجهة مراكز القوى فان ما تم لم يقدمهـــا الى الرئيس عبد النـــاصر بنفسه ، وانما عن الطريق الطبيعى اى عن طريق سامى شرف الذى كان ضالعا فى هذه العملية مع عدد آخر « ربما كان الوقت غير ملائم تماما للحديث عنهم بالحصر » ــ على حد قوله ــ وقد كتب له حاتم :

« أرفق تقريرا .. أرجو عرضه على سيادة الرئيس لأهمية ما يتضمنه حول أسلوب العمل ، خاصة فى هذه المرحلة التى يمر بها الوطن ، وبعد بيان ٣٠ مارس ، وبعد مبادىء العمل الوطنى فى المجال الداخلى التى ارساها السيد الرئيس بعد ثورة ٩ و ١٠ يونيو لتصحيح الأوضـــاع التى ســـادت قبل يونيو ١٩٦٧ .. وتفضلوا بقبول فائق الاحترام » .

*** * ***

وعن خلفيات هذه المذكرة بالذات يقـــول حاتم : « **لقد كانت هذه آخر ما كتبت للرئيس حول موضوع الانتخابات فقد جاءنى الصديقان اللذان ورد اسمهما فى هذه المذكرة يبلغانى أن محمد فائق كان يحذف من تقارير الرأى العام التى كانت تقدمها وزارة الارشاد (الاعلام) .. فى ذلك الوقت كل النقد الذى يتردد بين الجماهير حول عملية انتخابات الاتحاد الاشتراكى ثم « حفظ » تقريرا كاملا لأنه لم يكن يتضمن سوى ردود فعل هذه الانتخابات لدى المواطنين وحدث بعد ابلاغى الرئيس بذلك ، وكان وقتها يقوم بتحقيق واسع حول وقائع الانتخابات كما حددت من المصادر التى ذكرتها ، أن قال لسامى شرف فى معرض حديث بينهما :** « قل لفائق أن يرسل لى التقرير الذى احتفظ به . انه قد يخفى الحقيقة بعض الوقت ولكنه لن يستطيع ذلك طول الوقت » . وعلم وزير الارشاد فكان ما اتخذه من تصرفات أوردتها فى هذه المذكرة وشعرت أن الكتابة الى الرئيس واجبة . لأنه لم يكن يقبل بهذا الأسلوب . وبعدها ــ وتحت ضغط ضرورات تلك المرحلة التى تقتضى الجمع بين النقيضين وهما : **الاستمرار والتغيير أمر الرئيس بعض هؤلاء**

المسئولين بالبقاء فى منازلهم والبعض الآخر تمارض .. ولهذا قلت لك من قبل لقد كان يقينى ان عبد النـــاصر لو امتد به العمر كان سيحاسب هذه الجماعة وبعنف .. بل كان سيخلع أفرادها من مناصبهم » .

* * *

وتتفرع المناقشة بين **هــدى وحاتم وبينى ..**

وحول تساؤل : لماذا قدمت مذكرتك للرئيس عن طريق سامى شرف ، مع انه كان ضالعا فى تزوير الانتخابات ؟

يقول حاتم أنه فعل ذلك لاعتقاده ان المواجهة فيما هو حق ومبدأ هى الأسلوب الأمثل .. وأذكر — يضيف حاتم — أننى قلت للريس وقتها انى سوف أستقيل من التنظيم الطليعى للاتحاد الاشتراكى .. صحيح ان التنظيم منصوص عليه فى الميثاق ليقود العمل السياسى الثورى .. وصحيح ان الريس جعله غير معلن فى البداية لتبرز من خلال التجربة ، قيادات شابة ومسئولة تقدس عملها بغير اعلان أو اعلام .. لكن هذا التنظيم قد انحرف على أيدى « الجمـــاعة » ومن ثم — يقول حاتم — قلت للرئيس : اننى أستأذنك فى تقديم الاستقالة .

ويومها اجابنى الرئيس : « لو عملت كده تبقى مخطىء . لو كل واحد قلبه على البلد يسيب موقعه يبقى بيفسح المجال لأسوا العناصر لتتحكم .. أنت تستمر وتقول رأيك بصراحة » .

وسكت حاتم صادق . ثم استطرد : « رحت الاجتماع التالى للطليعيين وجلست استمع الى تقييم عملية الانتخابات وطبيعى كان محور حديث من تكلموا هو ان كله « تمام » فطلبت الكلمة وسردت الوقائع التى عندى كاملة ، وزدت عليها الاسماء التى أعتبرها مسئولة عما جرى من وجهة نظرى .. وبعدها بيومين فوجئت بالريس ينفجر ضاحكا حين رآنى وقال : « جالى كلامك النهاردة . بعتوا لى مظروف مكتوب عليه سرى وعاجل وما اعرفش ايه . فتحته لقيت محضر اجتماع وعلامات أسهم تشير الى صفحة بداخله . فتحتها لقيت كلامك وتخيلت المشهد كله » ..

* * *

عادت بى الذاكرة الى كلمـــات عبد النـــاصر امام المثقفين فى شرحه لبيـــان ٣٠ مارس : « ... بعد خطابى فى المنصورة قالوا لى انت غطيت كل حاجة ، غطيت الانتخابات ، اللجنة اللى حاتشرف على الانتخابات الى آخره من الموضوعات . **ولكن ماذا عن الضمانات ؟** اقول لكم أنتم صفوة هذا الوطن وطلائعه : **أنا ما عنديش ضمان .. أنتم الضمان . قوى الشعب هى الضمان.** ان نقطة الارتكاز الأساسية فى بيان وبرنامج **٣٠ مارس هى نقل السلطة** كلها الى قوى الشعب العاملة وتحالفها القائم . ومن هنا **فان المهمة الكبرى أمام قوى الشعب العاملة بنـــاء تنظيمها السياسى بالديموقراطية .** ذلك هو الطريق السلمى لتحقيق الضمان . التصويت . الانتخابات . عدم المجاملة والاصرار على انتخاب المناضلين الملتزمين لبلدهم الملتزمين لشعبهم ... »

* * *

قالت لى هـــدى جمال عبد النـــاصر ، بعد ان عادت من داخل المنزل حيث وضعت ابنتها هالة ـــ ٩ سنوات ـــ وابنها جمال ـــ ٣ سنوات ـــ فى الفراش :

« من يومها بدأت عمليات اضطهاد حاتم .. وبيتوا له النية ، الى حد أنه لم تكن قد مضت أيام فقط على رحيل أبى .. عندما طلب سامى شرف لقاء حاتم ، الذى ذهب اليه على ظن انه سيتحدث اليه فى أمر يتعلق بالظروف التى كنا فيها .. لكن كم كانت دهشته عندما بدأ سامى يحاوره ويناوره ويدور من حول هذه المذكرات وماذا لديه من أوراق تتعلق بانتخابات الاتحاد الاشتراكى واسباب تركه العمل فى مكتب المعلومات والتحاقه « بالأهرام » فى حياة أبى ! واستمر سامى يتربص بحاتم الى أن اتضـــح انهم كانوا ينوون اعتقـــاله ومحاكمته ليس طبعا لأنه فضح تزويرهم وانما بحثوا حتى وجدوا حجة لتدبير محاكمته وهى نشر معلومات عسكرية فى مقـــال له بالاهرام (بتاريخ ١٩٧١/٥/٥) مع انها معلومات معلنة !!

« لهذا كله أقول لك ، كما قلت فى البداية أننا سعدنا بما حدث فى مايو ١٩٧١ ، واسترحنا لأن الناصرية لم تكن قضية مطروحة حينئذ ،

وانما ارادوا استخدامها قناعا لمصالحهم .. ولهذا قلت لك انهم بدأوا يتربصون ويعدون عدتهم .. منذ ١٩٦٩ .. منذ ١١ سبتمبر من ذلك العـــام حين أصيب أبى بالأزمة القلبية المخيفة .. من يومها لم يكرسوا جهدهم للتخفيف عن أبى أو حمـــل بعض العبء عنه .. لكنهم استبسلوا فى تدبير أمورهم .. وأمورهم فقط ! »

❋ ❋ ❋

لست أدرى لمـــاذا تذكرت هنا قول شوان لاى : **« لمـــاذا تركتموه يموت .. أنتم الذين قتلتموه ! »**

❋ ❋ ❋

●● هل انتهت كل ذكريات « هـــدى » الأبنـــة الكبرى للقائد الخالد جمـــال عبد الناصر ؟ .

❋ ❋ ❋

أقول على لسانها .. لا تزال هناك مســـاحات لم يقربهـــا الضوء .. ولسوف نلتقى مرة أخرى — باذن الله — فى جزء آخـــر .

« محمـــود مـــراد »

أول ..
آخـــــر ..
صـــــــورة !

● أول صورة التقطت لجمال عبد الناصر بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو كانت فى ١٨ أكتوبر ١٩٥٢ وكان قد عرف وقتها أنه القائد الحقيقى للثورة ..

وآخر صــورة كانت بعد الصورة التى نشرت له وهو يعانق أمير الكويت مودعا يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، ان هذه اللقطة كانت بعد الوداع ، بعد أن غادر أمير الـكويت المطـــار ، وطلب عبد الناصر الســيارة نتيجــة شعوره بالألم والارهاق .. ان كل المعاناة والعذابات المكبوتة تنطق بها ملامح وجهه ! وهو يقف منتظرا الســـيارة ... للرحــلة الأخــيرة ! ●



مطابع الاهــرام التجارية

رقم الايداع بدار الكتب

١٩٧٥/٤٨٢٨

حوار .. لمــاذا ؟

هنــا فى مصر .. وفى كل الســاحة العربيــة على اتساعها قضايا تستحق المناقشــة ، وأيضــا شخصيات على مستوى القضايا لا تمثل ذواتها بقــدر ما تمثل تيارا فكريا معينا .. ومن ثم ترتقى مكانتها الى مستوى القضية !

بل ان القضية ــ أية قضية ــ لايمكن أن تكون بمعزل عن اصحابها .... سواء الذين فجــروها .. أو الذين تستهدف مصلحتهم أو حتى عداواتهم .. وبالتالى فان الاقرب الى ((تصــوير [illegible] بنبضها [illegible] أن تتم مناقشة القضايا من خلال البشر .

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

وعند هذه النقطة بالتحديد ، انبثقت فكرة هذه النوعية من الكتب .. تحاول ان تكون ضوءا يكشف تضاريس الطريق أمام المسيرة العربية التى لا يجب ان تتوقف حيويتها أبدا ، وانما تستفيد من التجارب السابقة الغنية للثورة العربية ، مستلهمة قوة التفجير الذى شحنت به حرب أكتوبر طاقة الحيــاة العربيــة المعاصرة .. وصــولا الى انتصارات عديدة .. الى خدمة الانسان اينما كان .. فى امة عربية حرة وقادرة ، تحميها دروع العدل والكفاية ، تحت ظلال من الحب والسلام

صدر من سلسلة ((حوار)) :

- ((الحكيم .. و... وعيه العائد !))
- ((حرب المخابرات)) جواسيس فى القاهرة .. فى اسرائيل !

تحت الطبع :

قريبا جدا .. ؟



محمود مراد

عادة يكتب الناشر فى هذا
المكان أبرز العناصر التى
يتضمنها الكتاب حتى يشد
اليه القارىء .. وهنا
المستحيل ! . ان كل
حرف فى هذه المذكرات
او الذكريات التى جاءت
خلال حوار هدى عبد
الناصر - الابنة الكبرى
للقائد الخالد - مع
محمود مراد .. شملت
معلومات بالغة الأهمية
تكشف أسرارا خفية !
اكثر من ذلك التقى الكاتب
بشخصيات بينها
محمد حسنين هيكل
وحسن ابراه
التهامى ، لي
بعد هـ
وثيقة تكشف
الذين يرقبو
التاريخ ...

« ان هذا الحوار ليس
حكايات للدردشة ..
فذلك ترف لا نرتضيه !
انما هو محاولة نعرف
منها مواقع الخطر ،
وتفرش بالضوء مع
غيرها - حتى وان
تناقضت معها - أسرار
التاريخ .. هناك
عند القمة ! »



053
722h
Bibliotheca Alexadrina
0231222